

الوعي الإسلامي

مكتبة إسلامية ثقافية شهرية

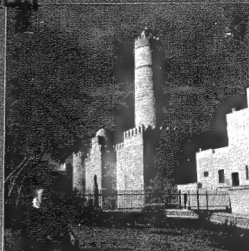
الدكتور القطيب محمد القطيب طلبة

شاهد محمد طلبة شافع محمد طلبة
المعادي

نوفمبر ١٩٧٤



عز الدين محمد بن
من طاع الله



منارة الرباط بمدينة سوسة بتونس

وتعتبر من أقدم المآثر في الإسلام .

التمن :

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٨

غرة ثوال ١٣٩٤ هـ

أكتوبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي الاشتراك السنوي للهيئات فقط

أما الأفراد فيشتركون رأساً

مع بمسند التوزيع كل في قطره

٥٠ طسا

١ ريال

٧٥ طسا

٥٠ طسا

١٠ غروش

١٢٥ مليا

دينار وربع

دريم وربع

٧٥ طسا

٧٥ طسا

٥٠ قرشا

٤٠ طسا

الكويت

السعودية

العراق

الأردن

ليبيا

تونس

الجزائر

المغرب

الخليج العربي

البن وعدن

لبنان وسوريا

مصر والسودان

عنوان المراسلات :

محلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

صندوق بريد : ١٣ - الكويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٢٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الإسلام في العصر الحديث



للككتور : حسن هويدى

وتتجلى الفوضى الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية ، والأنانية المزرية التى تتضاقل امامها غرائز الوحوش ، والإباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا والربا والخمر والميسر والسرقة ، فننتج عن المظالم الفردية مفساد ذات البين واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، وننتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس فمن الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا الى حرب فيتنام الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع انحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن

بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية والكيمائية والكهربية والبيولوجية فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب . الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية ، تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية والروحية ، والاشتراكية والراسمالية ، والرجعية والتقديمية ، واليهمين واليسار ، والاثرة والاثار ، والحرية والعبودية ، والفرد والامة ، والنسبية والاطلاق ، والناس فى ذلك بين أفرط وتقريط وكل يدعى أنه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

الأفراد غير المؤمنين سمى ولم يصلوا إلى اضمئنان أو استمرار ولم يقدموا خيرا لانفسهم أو لانسهم إلا بزاعا أو نقسه أو ما تلميه عليهم الربيه والضيايع . هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال المحدث . فكيف أن كان مؤمنا بالله واحد منزه عن الشبيهه والشريك ليس كمثله شيء محيط بكل شيء . قادر على كل شيء . يحاسب على الصغيره والكبيره ولا بد من لغائه والوقوف بين يديه ! وقد خلت من أوهام الوثنيه ، وخيالات الشموذه وسيطرة رجال الدين ، واتامت في داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيد نفسى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق ، فلا يصطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضات الآلهة وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكري وفساد خلقى . ولا يتسع مجال المقال للاستطراد في اشباع هذه الفكرة أكثر من ذلك ، قال تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » (الملك) . وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » وقال عز من قائل : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (الانبياء) .

٢ - بين المادية والروحانية . ما من دين ولا مبدا استطاع أن يجمع بين الروح والمادة كما جمع بينهما الاسلام . المادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ولذلك وجدنا المبادئ المتعلقة بالمادة وحدها انتصفت بالقسوة والبلادة والظلم وجفاف الحياة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيها

الأرض قدر يغلى على النار ، او برخان دائم الانفجار : يابى الهدوء والاستقرار . ويجم عن الانسيه عدوان امه على امه واستعباد تمعب لشعب واستغلال انقوى للضعيف حتى لكان البشر اصبحوا وحوشا كاسرة لا هم لها الا السطو والامتراس ، ونتج عن الاباحيه رجل المرأة وتحنت الرجل وضيايع العفاف ، وهدم الأسرة ، وامراض الزهرى ، وامراض الكحول ، والانتحار ، واللصوصية المنظمة والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصورة القبيحة التي تشكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحفة من البشر ولم يبق الا القليل ممن يؤمن بالمعدل والايتار والعفاف والامانة والصدق والوفاء . حتى لكان هذه المثل الفاظ تحتاج الى ترجمة لكي تستسيغها عقول أبناء الجيل وضماثرهم . هذه حال العصر اليوم .. فما هو الدواء .. ؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجاً لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متمسسين وانما هي الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان . امتاز الاسلام على سائر المبادئ والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع والبلسم الشافى والنظام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام في العقيدة والفكر :

١ - الإيمان بالله : إن تعلق المخلوق بعقيدة راسخة معناه الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض

أخلاقي . وفى قوله تعالى : « وزاده
يسطه فى العلم والجسم » (٢٤٧)
البقرة) . وفى قوله تعالى : « ان
خير من استأجرت القوى الامين »
(٢٦ القصص) وفى قوله تعالى :
« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٧٧)
القصص) وفى قوله تعالى : « وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله »
(١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى :
« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا
فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه
واليه النشور » (١٥ الملك) .

٣ - سبيل الاعتدال :

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه
بين الانحراف والتعسيف ويبدو ذلك
واضحا بتوسطه بين الاشتراكية
والرأسمالية ، وبين الرجعية
والتقدمية ، وبين الفرد والامة .

(١) بين الاشتراكية والرأسمالية .
قد يطول البحث اذا اردنا التفصيل
فيه ، فلا بد من الاجمال . فمما يرب
الاشتراكية تظهر فى نزع الملكية
والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية
للأمر الذى يصادم اعماق غريزة بشرية
وهى حب البقاء المرتبطة كل الارتباط
بحب التملك فالإنسان الذى لا يملك
لا يعمل ، والذى لا يعمل لا ينتج
ولا يحسن الانتاج ، ولذلك وجدنا
الإنتاج قل وساء فى جميع البلاد
الاشتراكية مما أدى الى تراجع فى
بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات
الصغيرة ورسم علاوات لن يزيد فى
الإنتاج . وهذا التراجع وحده طعنة
فى صميم الاشتراكية بنذر بالقضاء
عليها فى المستقبل أن لم تفرض على
الإنسان بالحديد والنار ، فالإنسان
ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك أو

آلة صماء لا حس لها ولا شعور
ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز
ولا كيان ، يتحرك بغير ارادته ،
ويسكن بغير اختياره ، ويا له من
قتل يشع لذاتية الإنسان التى امتاز
بها على الحيوان ، فهو مسخ
تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف
لا يكون موتا وقد خلا من الروح ،
وهل الموت الا نزع الروح . .
كما نجد المبادئ التى تعلقت
بالروح وحدها على غير هدى
وأهملت شأن المادة كل الاهمال ،
عزفت باتباعها عن الحياة بما فيها
من العلوم والصناعة والزراعة
والعميران وما يتصل بذلك من
الاكتشافات والاختراعات التى
تنتج فيها الطاقات الفكرية الكامنة
وقدرة الإنسان العجيبة التى تخرج
على العالم كل يوم بأصناف الفنون
وانواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع
الإنسان الى ذلك دفعا حينما أنزل
عليه قوله تعالى « اقرأ باسم ربك
الذى خلق . خلق الإنسان من علق .
اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم .
علم الإنسان ما لم يعلم » (العلق) .
اذن نجد أن هذه النزعة الروحية
المتطرفة هى فرار من الحياة فلا
الاولى أصابت ، ولا الأخرى أجابت ،
ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب
الهدف ، وأجاب مطالب البشر ،
فجمع بين المادة والروح والى على كل
منهما بنصوص صريحة ، وخطوط
عملية ، وحدود واضحة . يتجلى
ذلك فى الصلاة : جسم يتحرك وروح
خائسة . وفى الصيام : ترويض
للبدن وتزكية للأخلاق . وفى الحج :
سعى وهرولة ودعاء وتلبية . وفى
الزكاة : نظام اقتصادى وعمل

وشرطين على الربح — اجمالا دون تفصيل .

أما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو الزكاة التى تبلغ فى النقد ٢.٥٪ بحيث تتحول أى ثروة كانت ، ومهما عظمت ، الى الأمانة خلال أربعين سنة ، ومعنى هذا أن الفرد يهب ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة ، فتأمل : ومثل هذا لا يوجد فى الرأسمالية .

وأما الشرط الثانى المضروب على رأس المال فهو الإرث وهو كفىل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد الى عدة أفراد حسب عدد الورثة ومثل هذا غير متوفر فى النظام الرأسمالى فى أكثر البلاد . وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو **تحرير الربا** الذى يكسب ثروات طائلة بأيدي الأشخاص بغير جهد ولا نصب الا الاستغلال الفقراء والضعفاء . ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الإسلام أيضا ، وراء هذه الشروط الأربعة ، بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية ، وهى **تحرير الاحتكار وتواطؤ التجار ، والاستغلال والربح الفاحش ، والفشى ، والتلاعب بالأسعار** الى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالى الذى لم يكن

يندفع لتحسين الانتاج باطراد ولو كان الانتاج لغيره ، وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الانفاس .

ان مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتما الى زوال ، طال الزمن أو قصر . وأما معاييب الرأسمالية فتمثل بتضخم المال وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباستغلال الفنى للفقير وما ينشأ عنه من **الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق** لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس **والربح غير المشروع كالربح الفاحش والقمح والفسخ** . تلك المعاييب التى أحدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتها النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل أن لا يتصف بالانزاع ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائص عيوب الرأسمالية وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف كما بين الأمراط والتفريط .

ولكن الإسلام — على ضوء هذا المخطط المجل — هو الذى خلا من عيوب الوجهتين ، والتزم طريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية فيصادم **فطرة البشر ويقضى على طاقاتهم وفعالياتهم ، وتسلبهم التثريف ، وتنافسهم المطرد** ، ذلك المنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة الانتاج ، وتحسين الانتاج ، وهذا أساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادى . ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأسمالية حتى احتاط دون تضخم المال وما يجر اليه من سيئات **فعالج الأمر بشرطين على رأس المال ،**

الى القمر . فمهما تقدم الانسان في هذا المضمار فهو تقوم محمود ، وسير غير محدود : « وفوق كل ذي علم عليم » (٧٦ يوسف) . وثمة تقدم مفهوم وهو الاتحاذز المتمثل في القضاء على المثل العليا والفضائل المجمع عليها والانفاس في الرذائل المجمع على قبحها وايدائها كالكذب والخيانة والمكر والغش ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التي وجدت لها مرتعا خصبا في اوساط ادعياء التقدمية العصرية لانهم كفروا بنقائضها من المثل العليا ، خشية ان يوصموا بالرجعية .

وكما ان للتقدم نوعين محمودا ومذموما كذلك الامر في الرجعية ثمة رجوع محمود يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما ورجوع مذموم يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ او نقصا .

اما الاول فانه الرجوع الى الصدق والوفاء والامانة والعدل مهما تقدم الزمن . والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضية والهندسية والجغرافية وما شاكلها مهما تقدم عليها الزمن ذلك ان ثمة امورا لا يمسسها التطور الى ان تقوم الساعة . ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعي التقدمية والخلاص من الرجعية . والظاهر ان التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له اصحاب الدعوات في كل عصر ، حتى وجدنا بعض مناوئي الاسلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعية ابان ظهورها وتقديما فيقولون كما حكى القرآن عنهم « ان هذا الا اساطير الاولين » (١٨٣ المؤمنون) .

له اساس من العقيدة يرجع اليه في تهذيب اقتصاده وفرض نظام على هدى ومنطق سليم . اذن يجد المنصف ان الاسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية عدلا واتزاناً وانتاجا وحلوا من الاحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل المتوالية المتمثلة بالانراط والتفريط . تب (بين الرجعية والتقدمية : تلك النخمة التي فسدت العالم فريقين واستغلتها السياسة ابشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، مكل امة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالاحاد والاباحية والعنف والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهي تقدمية . وكل امة مالت الى الجبود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين ، والتغنى بنوع من الاخلاق ، والارتباط بالقديم .. فهي رجعية . ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز ، على ما فيه من باطل ، في دوامتها السريعة واستغلالها المغرض . فان انكثرا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا . وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجري التسابق الرخيص دون معايير منطقية حتى امسى سبابا وشتائم قبل ان يكون تقويما (تقييما) حقيقيا مبنيما على معايير صحيحة ومنطق سليم . **والحق في هذه المسألة ان كل انسان عاقل يجب ان ينشد التقدم ، والذي لا يتقدم يتأخر حتما . ولكنه يجب ان يتقدم الى القمة لا الى الهاوية . اذن ثمة تقدم محمود :** وهو الصعود المتمثل بالعلوم والصناعة والزراعة والعمارة وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تتقف عند حد حتى اوصلت الانسان

الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (١٦٤ البقرة) . « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٣٨ يس) . « يكرر الليل على النهار ويكرر النهار على الليل » (ه الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة والصناعة والفلك وما إليها ، تكاد لا تحصى ، ولا يتسع المجال للتفصيل في ذلك أكثر .

ج (بين الفرد والأمة :
غالت بعض النظم في قيمة الفرد حتى جعلته إلها يعبد من دون الله فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتوري والفاشي والنازي وكانت الأمة مربية لطغيان الفرد فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمان ، وكبتت حريات ، بسبب ذلك الحكم الفردي الجائر الذي هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحرمتها . وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة ولا قيمة للفرد فهو مسمار في عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ولا كرامة . فاقنيد الناس كالبهائم ، وخشروا حشر السوائم ، وسجنوا جحافل فوق جحافل ، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء ، وتسخر كما يسخر الأرقاء ، ويتبنون لو استسلموا الصراخ ، الصراخ فقط للتعبير عن الألم ، فلا يستطيعون ! أما الإسلام ، وهنا تتجلى العظمة والاعجاب البالغ ، فهو الذي ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة . الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن إن اعتدى وظلم ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،

» ان هذا الا خلق الاولين (١٣٧ الشعراء) . « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » (ه الفرقان) . ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره . وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصير على وسائل الزراعة والصناعة والممران التي كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم المعاصرة التي قطعت شوطا عظيما في التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرع . . ؟ لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة . ولمثل هذا يقال بحق إن دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء . وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقي في التقدمية والرجعية نجد ان الاسلام كان وسطا بين النظريتين الجائرتين بعيدا عن أكاذيب السياسية ، محظوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الالفاظ جزاما ، ولا يتغنى بالالحن الفارغة ، فهو ينشد التقدم المحمود وبحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ويصر عليه . وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع وان شئت فاقرا قوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا » (٦١ النمل) « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف

فى كل العالم ، لترى الى اى حد بلغت المظالم الفردية واى رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ودرج عليه ، والقضاء فائس ليست فيه عقوبة رادعة فى الاغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم ، اضرما نيران الجرائم لكى تمتلئ جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ولو ظهر جليا لاعينهم . كل اطراف القضية متواطئون على الجريمة . وكل اسوار الحمى منتقصة ، حتى ضجت الارض من ظلم أهلها . فآين يجد العدل مآمنه ويحظى الحق بحماه ؟ !

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد واقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى المآت مبنيآ على مراقبة الله وخشية الوتوف بين يديه واليقين بزوال الدنيا وبقاء الآخرة . . وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الامور فى نصابها : « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب » وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل وتقول الحق ولو كان على النفس او الوالدين والاقربين « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » فالمحامى والحاكم والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ذلك ان الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان القسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقوله عليه الصلاة والسلام « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فآنه آثم قلبه » ووعيد

وان زل واخطأ ، قامت اليه امارة تصحح له ، فيقول : (اصابتم امراه واخطأ عمر) . وان اراد ان يستبد فلآية له بالمرداد ، وان اراد ان يستأثر برآيه ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآية الكريمة « وشاورهم فى الامر » « وامرهم شورى بينهم » وان اراد ان يستهين بفرد واحد باغتداء او حرمان حق او هدر دم زجرته الآية السكرية التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها « من آجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنها قتل الناس جميعا ومن آحيآها فكأنها آحيا الناس جميعا » (٣٢ المائدة) . للفرد حقوقه وحدوده وللآية حقوقها وحدودها والجميع يعملون يدا واحدة فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٤ الصف) وكما آخبر عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنین فى توادهم وتراحبهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

مجال الاسلام الخلقى :

لا احد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحية الاخلاقية . فالظلم والاباحية والانتانية كل رزية من هذه الرزايا ، لعبت دورها الكبير فى المجتمعات البشرية الحاضرة ، وانحط فيها الخط البيانى الى الحضيض . . تعالى معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقتل : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بها رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر كما ثبت في السنة الصحيحة بل ورد وجوب قتله ان أصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .
والاثرة (وهي الانانية) ذلك الداء الويل الذي أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون اس جميع المفسد وطابع جميع الاعمال ، بل تاصل في النفوس وطفى عليها حتى نسيت عاره ، وانسجمت معه فاحتكمت اليه فأصبح مقياسا للاندفاع في العمل أو الاحجام عنه ، فالعمل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب اقدام عليه وبمقدار ما ينافي مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة .. يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق .. !!
ولك أن تتصور بعد ذلك هول الاتحاد الذي تنردى فيه الإنسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ولا يمكن أن تعرف آخرها لأن تعرجهم لا يعرف له مدى الا في علم الله تعالى .
هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذي يأبى الا أن يبني الاخلاق على أساس متين والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية « آمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم » فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيتها

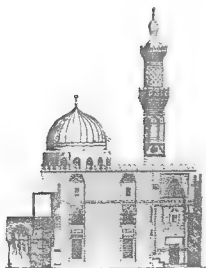
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من اكبر الكبائر . « وأصبح المحامي يخشى أن دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا » وكل لحم نبت من سحت فالتار أولى به « فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معي نصفي حصاد الاباحية ان كان يمكن الإحصاء :
كم فتكت الاباحية في كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعي الحرية الزائف ، وسرابتها الخادع ، تعال معي الى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات في شرق الأرض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام ضحايا الزنا والربا والخمر والميسر . ان انواع الأمراض الزهرية من الامرنجى والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الفولى من تشمع الكبد وقرحة المعدة وتصلب الشرايين وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا والقمار انتشرت في جميع أنحاء المعمورة وتزايدت أرقامها باطراد حتى عجز الطب عن المعالجة وسرى المرض من الآباء الى الأبناء ومن الاجداد الى الاحفاد ويكتفى أن تعلم أن أكثر اسباب السكنة القلبية (الجلطة) والسكنة الدماغية عائد الى الخمر والامرنجى حتى تعلم ما تجره هاتان الفائلتان على العالم من شرور . وهنا نذكر دور الاسلام العظيم الذي ينادى بأعلى صوته « انما الخمر والميسر والانصاف والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة ومقتنا وساء سبيلا » .

بموضوع ، وأنما كان البحث على مستوى الأصول لا الفروع .
 بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للإسلام من دور عظيم في إصلاح حياة الأفراد والجماعات لاسيما العصر الذي نعيش فيه فإنه بقدر ما تكون الأرض عطشى تحتاج إلى الماء ، ويقدر ما تحتبس الأنفاس ، تحتاج إلى الهواء ، وأن نظرة فاحصة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحيّة هذا الدستور الإلهي العظيم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وأن غدا لناظره قريب وما ذلك على الله بعزيز .

على الاتائية المقوتة فان أخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرية « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم أكثر الجرائم التي إن بحثنا عن أسبابها العميقة وجدناها ترجع إلى اتائية مقوتة تخفي تحتها أقبح صور الحقد على الناس . ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التي تفضح سوءات الاتائية وتفضح عن جمال الغيرية ، فذلك يستقل وحده





الاستقلا : محمد عزة دروزة

لم نطلع على وثيقة تاريخية قديمة يصح الاعتماد عليها فيها ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أقدم من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم والذي لا يحمل أي دلالة على أنه وحى رباني أو إلهام من موسى عليه السلام أو نبي آخر ، والذي حوى الفث والسمن والخيال والمفارقة والحقيقة والذي فيه دلائل قوية وعديدة على أنه كتب بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة وبعبارة أخرى بعد الوقت الذي وجد وجـود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فيه بأكثر من ألف عام على ما شرحناه في مقال سابق لنا في الوعى بعنوان : أين هي توراة موسى عليه السلام .

وجل ما ورد في هذا السفر عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو خبر قدوم إبراهيم ولوط عليهما السلام مع سارة زوجة إبراهيم إلى أرض كنعان وهو الاسم الذي كان يطلق على فلسطين في غرب الأردن وولادة إسماعيل وأسحق ويعقوب عليهم السلام وأولادهم وطسرف من سيرتهم فيها ومخاطبات وتجليات ووعود ربانية لهم . وليس فيه شيء مما يعود إلى حياة إبراهيم عليه السلام قبل قدومه إلى أرض كنعان إلا شيئاً يسيراً جداً وهو ما ورد في أصحابه الثاني عشر من أنه هو وأبوه ولوط ابن أخيه وزوجته سارة خرجوا من أور الكلدانيين لينطلقوا إلى أرض كنعان وجاءوا إلى حاران أرام النهرين ثم أمر له بالانطلاق إلى هذه الأرض فأتلقى إليها هو ولوط وزوجته دون الأب .

هذا في حين ان في القرآن الكريم اشياء كثيرة عن حياته قبل قدومه الى ارض كنعان وبعده ليس منها شيء في هذا السفر .
ولقد ذكر ابراهيم عليه السلام في خمس وعشرين سورة منها (١٣) مكية وذكر في بعضها أكثر من مرة . وذكره في بعضها مقتضب وفي بعضها منسهب . وفي بعضها بعض المطابقة مع ما جاء في سفر التكوين من سيرته في ارض كنعان .
وفي بعض ما جاء في القرآن الكريم اخبار عنه بعد قدومه الى ارض كنعان لم ترد في سفر التكوين .
ومما ذكر فيه اخبار عن حياته في تومه قبل قدومه الى هذه الأرض لم تذكر كذلك في هذا السفر .

ومن ذلك خبر استنكاره عبادة أبيه وقومه للأصنام ونظرته في النجوم ونبذه لها واتجاهه بهدى الله نحو الله حنيفا موحدا وحجابه مع قومه في ذلك . وهو ما جاء في سورة الأنعام منه هذه الآيات (وإذا قال ابراهيم لأبيه أزر اتخذ أصناما آلهة أنى أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغا قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أنى برىء مما تشركون . أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وأنا من المسلمين . وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هذان وما أخاف ما تشركون به الا ان يشار ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) .

وقد جاء في آخر السورة هذه الآيات خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم (قل أننى هدانى ربي الى صراط مستقيم . دينا قيميا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

وجاء في سورة النحل هذه الآيات (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين . شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وهو فى الآخرة من الصالحين . ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .

ومن ذلك جداله مع أبيه وقومه في صدد عبادة الأصنام . وجاء ذلك في سور مريم والانبيا والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف والمتحفة . وأكملها ما جاء في سورة الانبياء هذا : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا أبائنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وأبائكم فى ضلال مبين . قالوا اجئنا بالحق أم أنت من اللاعين . قال بل ربكم رب

السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على نلكم من الشاهدين . وتالله
لايكدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بالهنا أنه لن الظالمين . قالوا
سمعنا فنى بذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم
يسندون . قالوا أنت فعلت هذا بالهنا يا إبراهيم . قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم أن كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقاتوا
انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون
من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وأنصروا آلهتكم أن كنتم
فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وادأوا به كيذا
فجعلناهم الأخرين . ونجينا ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين .
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أمة
يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وآتاء الزكاة
وكانوا لنا عابدين) ..

ومن ذلك أيضا ما جاء فى سورة إبراهيم نيه حكاية اسكان إبراهيم من
ذريته عند بيت الله المحرم ودعائه وهذا هو : (واذا قال إبراهيم رب اجعل
هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب انهم أضلن كثيرا
من الناس فمن تبعني فانه منى ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا آتى
اسكننت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة
فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
ربنا أنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى
السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ريسى
لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء .
ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ..

وما تقدم هو قرآن مكى . وفى القرآن الحدى فصول عديدة من ذلك .
ففى فضل اتباع ملة إبراهيم هذه الآية (ومن أحسن ديننا ممن
اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم
خليلآ ..) .

وفى كون ما عليه المؤمنون هو ملة إبراهيم هذه الآية فى آخر سورة
الحج (واجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين
من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير .) ..

وفى سورة البقرة فصل طويل فى صدد رفع إبراهيم واسماعيل
قواعد البيت ودعائهم . منه هذه الآيات : (واذا ابلى إبراهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال أنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى
الظالمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم
مصلى وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والمكافئين
والركع السجود . واذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله
من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذا يرفع إبراهيم القواعد

من البيت واسماعيل رينا تقبل منا انك انت السميع العليم . رينا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . رينا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين (..) .

وفى سورة البقرة أيضا هذا الفصل في حكاية حجاج بين ابراهيم وملك بلاده (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وفى سورة الحج فصل طويل فيه أمر الله لابراهيم بان يطهر البيت ويؤذن في الناس بالحج وهو هذا (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد يظلم نفسه من عذاب اليم . واذ يوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقصوا تقىهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحل لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجز من الأوثان واجتنبوا قول الزور . خفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق (..) .

وفى سورة آل عمران فصل فيه تأكيد لأمر الله باتباع ملة ابراهيم وبأن أول بيت وضع للناس هو الكعبة ويجابح حجه على المستطيع (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (..) .

ويتبادر لنا والله أعلم ان في جملة (ملة ابيكم ابراهيم) الواردة في الآية الأخيرة من سورة الحج مفتاحا لفهم حكمة ماورد في القرآن الكريم من كل ما تقدم . فقد نهى المؤمنين الذين كان جلهم عربا حجازيين الى ما يعرفونه ويتداولونه جيلا بعد جيل من انتسابهم بالنسبة الى ابراهيم عليه السلام . وهذا التنبيه شامل كما هو المتبادر لجميع العرب وبخاصة الحجازيين مؤمنهم ومشركهم معا .

ومن الخواثر الذي يكاد يكون يقينا ان هؤلاء العرب كانوا قبل الاسلام يتداولون خير اسكان ابراهيم عليه السلام لاسماعيل عليه السلام في وادي مكة . وأن اسماعيل عليه السلام عاش وكبر وتزوج من العرب فكانوا ذريته . وأن ابراهيم واسماعيل ابناه عليهما السلام هما

الذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام . وأن تقاليد الحج هي من وضع ابراهيم عليه السلام بأمر الله . فرددت آيات البقرة وآل عمران والحج ذلك لتقول لهم ان ملة ابراهيم عليه السلام هي توحيد الله ونبذ الشرك والاصنام والنجوم التي نذها وعبادة الله وحده . وانه قال ان من اتبعنى فهو منى وانه دعا الله ليجنب ذريته الاصنام التى اضلت الناس وانه هو واسماعيل عليهما السلام دعوا الله بأن يجعل من ذريته امة مسلمة وان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكهم . وان الله قد استجاب لدعائه فبعث الله فيهم نبيا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم ان يتبعوه وينبذوا الشرك وعبادة الاصنام ويعبدوا الله وحده لتصدق نسبتهم اليه ويكونوا حقا وصدقا ابناء ابراهيم وعلى ملته خيفا مسلما وما كان من المشركين .

وفى سورة المجنة فصل رائع فى موقف ابراهيم عليه السلام والذين معه من قومهم الكفار ودعوة للمؤمنين العرب الى التماسى به تأسيسا على ذلك وهو (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واباكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى نسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعلهم فمكفول سوا السبيل . ان يتفقوكم يكونوا لكم اعداء وييسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . ان تنفكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم ابا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأ حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لآبيه لا تستغفرون لك وما اهلك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وابليك ابنا وابليك الحصور . ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فىهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد) . وشاعت حكمة الله ان يبعث فيهم الامل وان لا يياسوا ويمتروا القطيعة مستمرة بينهم وبين بنى قومهم فتشدد اشجانهم وان يؤذنه بان المطلوب منهم هو عدم تولى الأعداء المحاربين المؤذين لهم منهم وبأنه لا حرج عليهم ان يبروا المسالمين ويقسطوا اليهم فجاءت هذه الآيات بعد تلك (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) .

ويظهر ان النبى صلى الله عليه وسلم وبعض المؤمنين لما أوحى الله بان ابراهيم وعد آباءه بالاستغفار واستغفر له كما جاء فى آيات عديدة منها آية فى سورة مريم (سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا) وآية فى سورة الشعراء (واغفر لآبى انه كان من الضالين) ظنوا ان ذلك من ملة ابراهيم التى هم عليها وان لا حرج عليهم من الاستغفار لآقاربهم الموتى المشركين فنبههم الله الى خطأ اجتهدهم فى آيات سورة التوبة هذه

باسلوب رائع حاسم (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لابنيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم) .

ويظهر ان اهل الكتاب بعد الهجرة حينما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى اتباعه قالوا لهم بل نحن ندعوكم لاننا اهدى منكم فرد عليهم القرآن في آيات سورة البقرة ردا قويا حيث جاء فيه (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم . صيغة الله ومن احسن من الله صيغة ونحن له عابدون . هل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون . ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ..) .

ويظهر انهم عادوا الى الحجاج في موقف آخر وقالوا انهم على ملة ابراهيم فرد عليهم القرآن ردا قويا في آيات في سورة آل عمران وقرر ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه والنبي صلى الله عليه وسلم (يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزل التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون (1) . ها انتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ..) .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة اتخذ بيت المقدس قبلة بدلا من الكعبة التي اضطره المشركون الى الابتعاد عنها والهجرة الى المدينة فاخذ اليهود يتبجحون ويقولون للمؤمنين انهم هم الذين يهتدون بهداهم ويستقبلون قبلتهم . فشق ذلك على النبي والمؤمنين ودعا الله ان يهديه الى ما هو خير فامر الله باستقبال الكعبة فحقق اليهود واخذوا يشغبون ويشككون المؤمنين ويقولون لهم اذ كان استقبال بيت المقدس هو الحق فيكون قد اضاع عليهم صلاتهم السابقة ولا يصح هذا من نبي . فرد الله عليهم في آيات سورة البقرة هذه (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرعوف رحيم . قد نسرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع
قبلة بعضي ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن
الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من
المكثرين (٢) .

ويلفت النظر الى جملة (وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من
ربهم) حيث يفيد هذا انهم كانوا يعترفون ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة
وهي اقدم بمئات السنين من مسجدهم في بيت المقدس فيكون استقبال
الكعبة هو الاحق الاهدى .

ويظهر انهم عادوا الى الحجاج في ذلك فرد عليهم القرآن ثانية في
آيات سورة آل عمران التي اوردها قبل (قل صدق الله .. الخ) .
واوضح من كل ما تقدم ان قصص ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
في القرآن تدور في نطاق ما نبهنا عليه في مقال سابق لنا في (القصص
القرآنية) وهو انهما مما ليس غريبا على السامعين . ومما هدف فيه الى
المبرة والموعظة . وتدعيم الرسالة والنبوة المحمدية . ونبهنا هنا على ما نبهنا
عليه في ذلك المقال وهو ان من واجب المؤمن أن يقول آمنا به كل من عند ربنا
ويقف عندها وقف عنده القرآن دون تزيد ولا تكلف مستشفا الحكمة مما
اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه بالاسلوب الذي اوحى به . والحمد لله رب
العالمين .



(١) المراد والله أعلم أن اليهودية والنصرانية صارتا ملة اليهود والنصارى نتيجة لتزول
التوراة والانجيل وبناء عليهما .

(٢) التبادر والله أعلم أن توجيه الله للرسول الى بيت المقدس كان على ما نظم الآيات
اختياراً للمؤمنين وبخاصة المهاجرين أهل الكعبة الذين يعرفون أن الكعبة هي بيت الله
الحرام ومكان حج العرب جسيمهم . حتى يخصهم ويظهر من الذي يؤمن بكل ما يأمُر
الله ورسوله ويطيعونها ويستغفرون في ذلك في كل الاحوال ولو كان فيما يؤمسون
به شيء مما لا يحبون .

مفاهيم سليمية

للدكتور محمد علي الزغبى

الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلّسوا على علم ، أو استعذبوا الحياة فى ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالا .

١ - قد يتلو الجبرى قوله تعالى :

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ويعلق عليها قائلا :

« إن الله اختار من الأزل فريقا للجنة وفريقا للنار ، ولذا سيذهب سعى الساعين وعمل العاملين عبثا ، إذ السعادة قبل الولادة ، وليس الإنسان الأريشة فى الهواء إذ الله عمل بيد الإنسان خيرا أو شرا وقال بلسان الإنسان صدقا أو كذبا » .

هذا ما يفهمه الذين يصدرون الأحكام المرتجلة مستندين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم أن الآية مسبوقه بهذا النص :

« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لهمسا واردون .. » .

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .
وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيرا لهم وتنبيها إلى أن المحروق لا يعبد .. !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وأدخلوا فى هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدتهم الغلاة ، ولسكن الوحي صحح هذا المفهوم بقوله : « أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » يعنى أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عبدوا ، سواء كانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الاشراق أو الابتثاق أو التجلى أو التجسد أو التأنس .. ليسوا مسئولين عن انحراف الغلاة الذين عبدوهم لأنهم (الرسل والأنبياء والعظماء) لم يأمرؤا الناس بالانحراف .

٢ — وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثلا :

« اتريدون أن تهدوا من اضل الله » .

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصمة من الضلال « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » كأنهم ظنوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون سبب .

فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنفسها الكامل :

« فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا اتريدون أن تهدوا من اضل الله » .

اذ لو قراوها كاملة لرأوا المنافقين راسبين بسبب أعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتكبه عبدا واختيارا فقد طلب طريق الضلال فوجده أو تخلى عن الله فتخلى الله عنه ، وهذا معنى الضلال (اضل الله) .

٣ — وإن يردك بخير فلا راد لفضله :

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلا على أن الله يعطى ويمنع ارتجالا ، ولو راجع القارئ الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرأها فى معرض التنبيه على أن الأصنام لا تنفع عابديها ولا تضرهم أى لا تكشف عنهم ضررا ولا تحول دون إيصال النفع .

٤ — قل كل من عند الله :

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر تعليقا على كلمة « الخير من الله والشر من الناس » يحاولون التنصل غير عالمين أن يهود المدينة كانوا اذا أصيبوا بقحط قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « القحط بسبب قدومك المدينة » ، ولكن الله رد عليهم بقوله : « قل كل من عند الله » أى إقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن فى ذلك كله ..

٥ — فآلهمها فجورها وتقواها :

من الفهم الملتوى وقوف الجبريين طويلا عند آية « فآلهمها فجورها وتقواها » يرددونها دون فهم ، ليضـمـعوا تبعـة أعمالهم على الله لأنه طبعها بمفهومهم ألهم الإنسان الشر .. !

أواه : لو علموا أن (ألهم) هنا بمعنى عرف لا معنى أرغم أو أجبر ، اذ لا يتفق الجبر والنهى ومن المستحيل أن يلهمنا أى يجبرنا الله على ما نهى عنه .. !

لقد عرّفنا ما ينبغى أن تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، لتمييز رشدنا من غيها ، اذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية

ناصمة ، ونستطيع غمبها في مستنقع الضلال وقد علق الله ملاحنا على الحافظة وخيبتنا على القصور فقال « قد أفلح من زكاه . وقد خاب من دساها » أي لوئها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة إلا على ما نستطيع تحقيقه ، إذ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . إلا لقد بين الله للانسان طريقى الخير والشر فهدها النجدين ، أي أوقفه في الطريق ذى المفرقين « إما شاكرا وإيا كفورا » وقدره على التمييز بينهما وتمعه بنعمة الاختيار .

٦ - الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر :

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التى دفعته للفطرسه وانضت للخسف والدمار وقد صور القرآن الذين « أوتوا العلم » بعدم تمنى مثلها وصور محبى العاجلة بالجشع والتمنى ثم قال بلسان حال أهل العلم : « ويكان الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » والآية هنا تعرض موضع العبرة لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليلا على أن الله يحبه ويكرمه ، وتجريد شخص من المال ليس دليلا على أن الله لا يحبه ، إذ المال حطام لا يحبه الله عمن سار في طريقه سواء كان الطريق مستقيما أو ملتويا ، عملا بناموس الاختيار الذى استلزمه نظام التكليف .

٧ - وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله :

هذه جاءت بعد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » أي لو شاء لجعل الانسان مرغما على الهداية والايمان ، لكنه لم يشأ إذ منحه حرية الاختيار وهى والجبر لا يلتقيان .. لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطى حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختارا ، وبذا يعرض عن الايمان مختارا ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ ! إذ لو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين والحقه بنظام الكون .. !

٨ - فريق فى الجنة وفريق فى السعير :

لا تعنى أن الله صنف عباده مذ قرر إيجادهم بل تعنى أنه علم أن قوما منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويمسكون طريقا يفضى الى الجنة مع قدرتهم على الإتحراف ، وبعضهم يمل الحرية والاختيار ، ويسير على طريق ملتوية زاعما أن الله كتبه فى الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة . وذلك لأن باب رحمة الله : « الايمان به والوقوف عند حدوده » مفتوح ، أما الذين أعرضوا عنه ، فأعرضهم باختيارهم ، لقد أعرضوا وهم قادرون على عدم الأعراض ... !

لقد غزت المفاهيم السقيمة قوما ، فصوروا الله مرتجلا يتسم عباده
فريقين أحدهما للجنة والآخر للنار ، ناسين الآيات التي تهب عامل مثقال الذرة
ما يناسب جهوده ..

على أن قوله تعالى : « فريق في الجنة وفريق في السعير » ليس قرارا
يجب تنفيذه بل حكاية عن واقع الحال كقوله : « وهو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن » أي لم يخلقكم ليرغم بعضكم على الكفر وبعضكم على الإيمان ،
بل أن قانون الاختيار سوغ لبعضكم أن يعيش مؤمنا باختياره وللبعض أن
يعيش كافرا باختياره .

فكان الله — له المثل الأعلى — ملك أمر رعيته أن يخرجوا لاستقباله ،
فخرج بعضهم فارسا ، وبعضهم راجلا ، فقال : « أنا أعلم أن
بعضكم يملك ثمن جواد وبعضكم لا يملك » ، ومعلوم أن قوله هذا لا يعنى أن
الملك أفقر لبعضه دون سبب ، وأغنى بعضا دون سبب .

٩ — والله خلقكم وما تعملون :

يشحن قلبى الما ، الاستشهاد بفقرة من آية ، إذ كثيرا ما سمعت قوما
يذكرون هذه الفقرة بسياق طلب المعذرة للمنحرفين ، كأنهم يرونه تعالى خلق
ما يفعلون مما نهى عنه ، متناسين نص الآية الكامل « أفتعبدون ما تفتنون
والله خلقكم وما تعملون » .

الآية تقس جهاد سيدنا إبراهيم إذ قال لقومه « الله خلقكم وخلق المادة
التي نقشتموها أصناما مهلا عبدتم يديكم التي نحتت ونجرت » .. ؟

١٠ — زينا لكل أمة عملهم حزيننا لهم أعمالهم :

إن الله لا يزين للناس ، إلا ما ينفعهم قال تعالى « ولكن الله حبيب اليكم
الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

أعنى أن الله لا يقصد الإغواء بل التخلي عن المنحرفين لأنه تعالى
لا يخدع ولا يزين سوء ولا يغوى ، ولا يبدأ أحدا بحرب بل يحبط مؤامرات
الخداعين والمكربين ومزىنى السوء والمغوين والمغرين ، ذلك لأن الإغواء مثلا
إذا أسند لله يعطى معنى الجزاء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فسوف
يلقون غيا » أي جزاء ، وعلى هذا الضوء تفهم قوله : « أن كان الله يريد أن
يفويكم » أي أن يجازيكم بسبب أعمالكم الملتوية .

١١ - لن يصيينا الا ماكتب الله لنا :

نصر الله المسلمين يوم بدر ، فكان نصرهم شجى في خلق اليهود وحلفائهم من سدنة الأصنام ، كما كان تهقروهم عيدا لدى أولئك اليهود والسدنة .
نزلت الآيات تنادى « لن يصيينا الا ما كتب الله لنا » لأنه تعالى يكتب النصر للجديرين والكسر لسواهم من أى قوم وعقيدة وديار .
هذا ما يفوح من أريج هذه الآيات الكريمة ، ولكن المتواكلين أو ذوى النيات المبيتة لا يحبون ادراك هذه الحقائق ، ولذا يضمون تبعه الكسر على الأقدار ، لا على قصورهم وتفريطهم بل وتواطئهم مع العدو ، ويجسدون من الآيات التى يفسرونها (على كيفهم) دعابة ولو وأهية تبرر انحرافهم .
رأينا فى المفاهيم السلبية صورة اكاد أراها طبق الأصل عما كنا عليه ، فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، ثم غزانا الفهم السستقيم بعصر الملكيات المطلقة ، وكان عمر بن عبد العزيز - وقد عاصر طلائع ذاك الانحراف بالمفاهيم - أحس حقيقة خطرها ، فتحصن بالآيات الكريمة ، وتدرع بالسيرة النبوية وأمر بتعميم نصوص الاختيار ، على مسلمى آسيا وأوروبا وأفريقيا ، مضافة للمفاهيم السلبية حول النصوص التى قد يخالها الضعفاء جبرا .
مات عمر فتضاعف زحف المفاهيم المتتوية لا سيما بعد فتح باب الترجمة الذى تشرب منه الفث والتمين فأخذت الأمراض تغزونا من مصادر متعددة .

(أ) المصدر اليهودى :

الفرنسيون من اليهود لا يرون للإنسان ارادة ، ولا اختيارا ولا تأثيرا ولا جزءا كسبيا ، ولذا لا يرونه جديرا بالمدح أو الذم ، لأن الله فعل بيده . . !
أما اليهود (الفروثيم) فقد بالغوا بالاختيار ، وراوا الإنسان قادرا على مطلق عمل دون أمر الله أو نهيه .
أما الثواب والعقاب فلا علاقة لهما بالأعمال لأن الله اختار من الأزل قوما للسعادة وقوما للشقاء .

هذه الأمراض : الجبر المطلق ، والاختيار المطلق ، وعقيدة السعادة قبل الولادة ، يهودية الأم والأب ، وقد غزانا جرثومها معززا بالأرجاء الذى اخترعه كعب الأحبار ، ولا زال يفتك بنا ، وقد حقق السيد رشيد رضا فى ص ٢٨٤ من الجزء العاشر من طبعة التفسير المنار الثانية ، حقق كذب كعب الأحبار هذا .

(ب) المصدر النرفانى :

لا بد لنا من الاعتراف بأن فى الهند والصين وفارس مرضى بالجبر ، إذ البرهمية والبوذية والمزدكية حقول تبرره ، وقد اعتنق هؤلاء الاسلام ، وأصبح

بعضهم مؤلفا أو مفسرا ، لذا لم أر عجبا من حبهم ابن صفوان (أحد أركان الجبر) إذ أوجد في خراسان (الأفغان) أنصارا ، إذ لم يستطيعوا الشفاء من دفتائمه .

ج (المصدر اليوناني :

الحرب اليونانية الطروادية الطويلة المدى التي تآججت — ولو في الظاهر — انتصارا للآلهة وحرصا على سيادتهم وأنانيتهم . حملت سواد الناس على التسليم المطلق (الجبر) وأرنا بعض من نحترم من الفلاسفة يحمل رأيه وأراقت عليه من فلسفة التقمص والتناسخ المفضية للجبر ولو لحد ما ، سائلا محرقا .

فرقة الاطفاء ومحامو الدفاع :

١ — أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي :

لم تكن ساحة الدفاع يوما خالية ، إذ رأينا جنودا يتدعون بالآيات الكريمة التي تخطط صراط الفضيلة بين نقطتي الجبر والاختيار ، ويستخدمون المنطق وما استقام من الفلسفة أوائل دفاع .

حارب هؤلاء قادة الجبر والقدر (بسكون الدال) أمثال جهم بن صفوان وغيلان الدمشقي ، ومروان الجمعي ، ومعبد الجهنى ، وحاربوا أساطين التفضيل ، أمثال كعب الأحبار اليهودي ، الذي يرتدى تارة ثوب الجبر وطورا ثوب القدر وآتاه حلة الإرجاء ليسهم الساحة التي يأمل تسميها ..

حاربوا وحملوا شعلة المفاهيم السلبية ، فمراوا الاختيار المطلق ثوبا حاول الإنسان ارتداه فكلف نفسه فوق الطاقة ، والجبر المطلق محموا للتكليف وهدما للشريعة وأبطلوا لحكم العقل وأنكروا للواقع .

ودعنا آخر القرن الهجري الخامس آخر قافلة من هؤلاء الجنود وفي رأسهم المعتزلة « وهم مخلصون أما ما رأينا بينهم من غلو ، فهو من اليهود الذين زعموا الاعتزال كأحمد بن حائظ الذي لم تخف راحتته عن ذوى الأنوف السلبية » .

ودعناه وانغمسنا في مستنقع التفكك ، وحنينا عنقنا لخطر الجبر بسيادة نظرية الكسب الأشعرية التي فهمها سوادنا جبورا ولو خفيا .

راجع :

١ — تفسير المنسراج ٥ ص ٦٢٠ و ٦٣٤ ج ١٠ ص ١٠٦ و ٣٢٧ و ٦١٤ من الطبعة الثانية .

٢ - ابن حزم لأبى زهرة ص ٢٨ و ٢٩ و ١٣٤ من الطبعة الثانية .

٢ - فى العصر المملوكى والعثمانى :

تراكمت الظلمات ، لا سيما فى الديار التى حنت عنقها لغزو عمالقة الغرب واقتزام الشرق ، وزاد طينها بلة التطنحن التركى - الفارسى ، الذى مثل دورة السلطان سليم والشاه الصفوى .
ظلمات كقطع الليل ، حمل مصباح الهداية قبل عصر المعتزلة وبعدهم ، أئمة أهل البيت النبوى ثم ابن تيمية الحرانى وابن القيم الزرعى .
وقد سار على هديهم نخبة من أقطاب القرن الماضى كالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وخليفته السيد رشيد رضا .
واقتدى بهم السيد عبد الحميد الخطيب فى كتابه (الجبر ضلال ومحال) والدكتور محمد أقبال فى كتابه إعادة الفكر الإسلامى .
والدكتور خلف الله فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (ص ٥٧ - ٦١) .

نعم لا جبر فى الفكر الإسلامى ولئن التمسنا عذرا للجبريين من جميع الأمم ، فلن التمس : للمسلمين لأن رسول الله شرح فى سيرته ما نفذه مصباحا ولن التمس للعرب إذ القرآن فى لغتهم ومتناول أيديهم ينادى بالتخيير ويأخذ بيد طالبى الهداية ليريهم فعل نواميس الكون ، ويمنح المكلفين قدرة وإرادة ونقطة اعتدال ، ويدفع غائلة الجبر التى خلقت الجهل والبؤس والتخلف وساعدت على سلب كنوزنا وطردنا من أكرم ديارنا .

الاختيار هو الأصل :

هو الأصل وما جاء على أصله لا يسأل عنه يدعمه الآيات وقد نادى به القرآن وأقامه أصلا محكما ولكن بعدنا عن الفهم السليم ، خلق الجبر ، وخيله مشكلة .

والواقع ، لا مشكلة ، بل خيال وسراب تخيلنا وجوده وانحنينا تجاهه وما زال قاتون الوراثة والاستمرار يضحيه حتى تبناه السواد وذوو الجهل المركب وأشهد أن أحد هؤلاء أمر لى قائلا :
الجبر فى قلبى والتخيير فى لسانى ، يعنى أنه ينادى بالاختيار ويملله بأن اسناد الخير والشر لله عقيدة لكن ينبغى أن نتأدب مع الله فلا ننسب له الشر ، مع اعتقادنا أنه - تعالى - هو فاعله .. !

وهذا كما يرى القارئ تسمية للأشياء بغير أسمائها الحقيقية كأنه - تعالى - ملك مستبد قتل شخصا ولكن الشرطة السائرين فى موكبه نظموا ضبطا بحق مجهولين ليدفعوا عن الملك السنة أو ثارا محتال الوقوع ، أو كأننا بما دعونا جبرا ، نعتقد أن الله سرق بايدينا وجدف بلساننا فأخذنا نقول فى

داخلنا « نعلم أنك انت السارق المجدف الحقيقى ولكننا لا نستطيع البوح خشية موتك واستبدادك » .

نعم الاختيار هو الأصل وقد ركزه القرآن بآيات كثيرة مثل « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل : إنما أنا من المنذرين » سورة النمل ٩٢ .
هو الأصل ودعائمه مسئولياتها ، وقد فهمه الراسخون
فى جميع اليهود فقال ابن تيمية « للعبد قدرة ومشينة وعمل فهو مختار مريد »
راجع مجموعة الرسائل الكبرى ، الطبعة الاولى ، المطبعة الشرقية بالقاهرة
عام ١٢٢٢ هـ ص ٢٧١ .

وقال الفقيه الصوفى الشيخ عبد الغنى النابلسى « الجبريون المعطلون
للتكاليف الشرعية ، المسفهومون للخطابات الالهية زنادقة هذه الامة » راجع
كتابه (الكوكب السارى) ص ٦ .

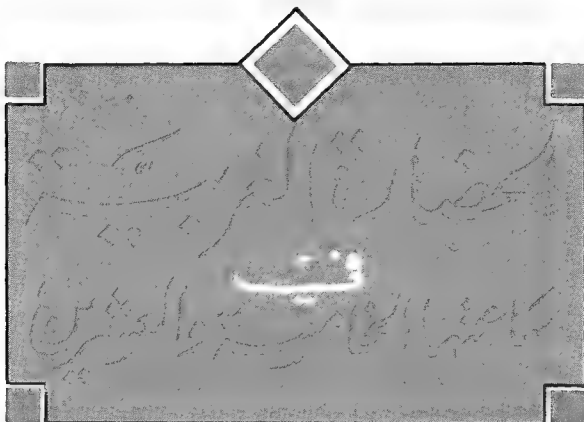
هذا الأصل يرينا الانسان ذا بصيرة وما وصفه بالمحسن والمسيء
والشقى والسعيد الا تقريرا لواقع اختاره واراده ونفذه .. !

مثلا ، يستطيع ان يتخذ العقل مستشارا فيسمى فى طلب الرزق ويعلم
ان للكفاءة (مطلق كفاءة) دخلا كبيرا ، وان الانسان يرزق من النافذة التى
توجه لها ويحرم من التى اولاهها ظهره هذا مع اعترافنا بتأثير العدل الاجتماعى
فى واقع الافراد والامم .

هو الأصل الذى عليه يقوم التكليف ولكن الانسان — لغاية فى نفسه —
قد يتناسى هذا المنطق فيرى نفسه قدريا — أى يزعم أن الانسان قادر على كل
شئ — أن كلف احدا ، وجبريا (زاعما أن الانسان لا يقدر على شئ) ان كلفه
احد (كأنه يتقمص النعمة) قيل لها اجملى فزعمت أنها طير وقيل لها طيرى
فزعمت أنها جمل) .

فيا ايها الانسان اعلن موقفك وارفع علم الجبر أو الاختيار وفارق هذا
التطرف غير آسف وارضى نقطة الوسط لأنك مختار ومكلف .
اذ الناس على تفاوت درجاتهم الفكرية مجمعون على أن الانسان اهل
للمدح والتدح ، ومن البدهى أن ما استحق لأجله مدحا أو قدحا لم يفعله مجبورا
ولا يخفى أن اجماعهم على تفاير ظروف الزمان حجة قاطعة .. !





للدكتور : عماد الدين خليل

« اننى اشعر ان حدثا خطيرا قد وقع حولنا ، إئننى أجهل أين انفجر ، ومتى بدأ ، وكىم سيدوم ، لكننى اشعر بوجوده ، لقد أخذنا فى الدوامة ، ولسوف تهزق هذه الدوامة جلودنا ، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر .
اننى اشعر بهذا الحدث الهائل شعورا لا يضاهيه الا احساسى الجردان المسيق الذى يدعوهم الى هجر مركب على وشك الغرق . لن يكون لنا أى مأوى فى أى مكان من العالم » .

كونستانتان جيورجيو

فى رواية الكاتب الرومانى كونستانتان جيورجيو « الساعة الخامسة والعشرون » تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان ، ان مآسيها تعرض علينا كما لو كنا نشهد معا مسرحية حاضرة : الانسان الذى سلبت حريته وأدخل

فى دواءة من آلية قاسية احوالته الى (رقيق) وانقذته حريته وارادته الذاتية ، (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات فى جماعيسة سحقت كل ما هو فردى ، وتشابهية دمرت كل امكانية للتنوع والابداع ، وتعميمية محقت كل اتجاه شخصى ، ومادية ردمت كل منابع الحب والايهان فى وجدان الانسان . النظم الصارمة التى اوجدت جحرا خائفا بسات لا يصلح للتنفس ، الصراع من أجل تكريس اكثر للآلية ، واستعباد أشد للانسان ، وتحطيم أعنف للقيم وإحكام أقسى للحركة ، وكبت أروع للحرية . .

كل منكم سيصرخ ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضارة المعاصرة . . . الآن لست أريد متابعة النظر ، لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد ، اننى — اذا استمررت على المشاهدة — فسوف لن أرى إلا الأتقاص . سأرى مدنا متهدمة ، ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنايس وآمالا كلها منهطمة — محطمة — (ص ٥٠٨ — ٥٠٩) .

ولكن علينا — نحن كمسلمين مسئولين أمام الله والبشرية — ان نملك أعصابنا ونرغم أنفسنا على البقاء حتى النهاية لمشاهدة المأساة ، ولكى نستطيع ان نحيط برؤيتنا أبعادها ، وننتقب — من ثم — عن التيارات الظاهرة والخفية التى تسوقها الى مصيرها المؤلم الحزين . ولكن نقول لهم — بعد كل ههنا — ان الطريق الوحيد للخلاص هو : هذا . . اذا أردتم أن لا تبلغ المأساة نهايتها !!

ان جاتنا من الأدب الغربى اليوم — وبخاصة الرواية والمسرحية — بشكل أهمية كبرى فى أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة ، لأنه يعكس بحوية فائقة الأزمة التى تعانها هذه الحضارة ، والضغط القاسية التى تسلطها على الانسان فتسحقه وتمزقه . ان ردود الفعل التى يجابه بها الانسان الغربى المعاصر حضارته المتأزمة هذه ، تبدو واضحة حية ، متحركة ، عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى كتبها أدباء وفنانون كبار أدركوا جوانب عميقة من الأزمة ، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا ، وجاس فى سراديبها وكهوفها ، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل وأغرقه الظلام . . مهل ننتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء ، ويدلنا على طريق الخروج ؟؟

ان ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى : تحديد ملامح المأساة . أما الخطوة التالية التى ترسم لنا طريق الخلاص ، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا إليها لأنهم ليسوا (على شريعة من الأمر) وهى خطوة تلقى مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانة (الكتاب) بعد ان أشفقت السماوات والأرض من ثقلها العظيم . .

ان كل ساعة تمر على تاريخ الأرض ، تقترب بالبشرية من مصيرها الفاجع لان قيادتها انتقلت منذ زمن بعيد الى الانسان الغربى سواء الذى يقطن فى أوروبا الغربية وأمريكا ، أم الذى يقطن فى روسيا واليابان . ولم تشهد الأرض احتكارا أشد للقيادة البشرية والحضارية ، من هذا الذى تشهده الآن . . ان نداءات شتى للتحذير أطلقت منذ ان بدا يتكشف — لذوى البصيرة — المصير المحتوم لحضارة

تقودها قيم ومفاهيم لا تتسجم أساسا وكيان الانسان، وانها بهذا تسلط عليها ضغوطا ساحقة تضصف الأجيال بعد الأجيال ، ولا تتيح لها الاستعداد الكافي للقيام بأعباء الحضارة وتولى مسؤوليتها الثقيلة .. نداءات أطلقها كثيرون : أطباء وعلماء نفس واجتماع وفلاسفة ومؤرخون ورجال دين ولاهوت .. تداموا من كل حذنب وصوب ليؤكدوا بان على الحضارة المعاصرة ان تغير طريقها، وان تنعطف بكتسباتها الهائلة الى طريق جديد يحفظ لها تراثها الذى هو حصيلة كدح شاق طويل للبشرية جميعا .

واليوم يتقدم أدباء وفنانون من شتى أقطار الأرض ليعملوا من مزيد من التحذير ، وليضموا على طريق السقوط مزيدا من علامات الخطر .. أدباء وفنانون من شتى أقطار الأرض يصرخون منددين بالقيادة الضالة والبشرية المنكودة . وها نحن نجد هذا التحذير فى القصيدة والأغنية ، فى القصة والموسيقى ، فى الرواية والمسرحية .. وهذه الصرخات تذهب كلها عبثا ويضيع صداها فى الأفق البعيد ، ويختفى معها تأكلوها لأن (الرجال الذين يتألمون لانهيار الحضارة الأجنبية ، يهارون ويختفون معها تماما ، وان أولئك الذين لا يشاهدون غير ذلك الانهيار فحسب يلبثون غريبا عن المأساة .. ويعتبرون مجانيين .. ان أوروبا تعتبر اليوم كل رجل بلغ ذروة الألم الفكرى ، وحدوده القصوى مجنونا) (ص ٥١) . والبشرية المنكودة تسير وراء قيادتها الى مصيرها المحزن ، والحضارة المعاصرة تركض ساعة بعد ساعة صوب نهايتها .

وها هى اليوم تبلغ ساعتها (الخامسة والعشرون) (اللحظة التى تكون فيها كل محاولة للانعقاد عديمة الجدوى .. ساعة المجتمع الغربى ، انها الساعة الحاضرة - ص ٨٨) .

لماذا (الساعة الخامسة والعشرون) ؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال (ان الجوبات لا يصلح للتنفس .. ان الجوبات خائقا .. الجو الذى يمشى فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشرى لن يستطيع احتياله . ان البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومى والادارة ، كل هذه الأشياء تساهم فى تسميم الجو ليخفق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقائق العنصرى . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير ان بنى الإنسان لا يشعرون بذلك . إنهم يصرون على أن كل شئ طبيعى ، كما كان فى السابق .. لقد وضعت فى روايتى الطريقة التى يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون فى عذاب مريع وقلق قاتل ، تخفقهم الأجواء غير الصالحة للحياة (ص ١٨٥) .

والآن لنبدأ مع جيوروجيو رحلته الطويلة عبر منعطفات الطريق الحضارى ومجاريه ، وهى تجرف القيم صوب البحر ، وتنحدر بالحضارة الى الهاوية ، خطوة .. خطوة .. مع (جيوروجيو) وهو يستبطن خلفية هذه الحضارة ويتوغل الى أعماق الانسان . وليعزرنى القارئ ان نقلت نصوصا طويلة من هذا الكتاب ، نهى ذات أهمية كبيرة لأنها تمثل شواهد انسان عاش الحضارة المعاصرة وأدرك

اغوارها .. شواهد حية ضد القيادة التي تسير بالبشرية وحضارتها مسسوبة
الدمار .

— ١ —

ان التقدم التكنولوجي الذي احرزته الحضارة الغربية لم توجهه قيم الدين
يوما ، بل انه انطلق أساسا وأخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين —
أو هكذا يتوهمون — فلا نعجب اذن اذا ما تضاعل الانسان يوما بعد يوم ازاء هذا
التضخم الآلي ، لانه فقد الايمان بكرامته ، وغض بصره عن التطلع الى قيسم
علوية ، وسجد للالة ، ولأول مرة يقدم كاتب غربي تحليلا رائعا يتميز بالجسدة
والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الانسان والآلة ، والتي تمثل التهافت
الأول في عصب الوجود الغربي والتي نشأ عنها ما يطلق عليه الكاتب عبارة :
الرقيق التكني : (الخادم الذي يقدم لنا يوميا الف خدمة لم نعد نستطيع الاستغناء
عنها ، انه يدفع سيارتنا ويعطينا النور ويصب لنا الماء لفقتل ، ويحمل لنا
مخابرنا ورسائلنا ويروي لنا قصصا لتتسلل عندها نير زر المذيع . انسه
يخطط لنا الطريق ويزيل الجبال من أمامنا) (ص ٧٨ و ٧٩) .

ومن ثم يقدم الكاتب مقارنة طريفة بين الرقيق البشري في العصور القديمة
وبين الرقيق التكني في المجتمع المعاصر : (كان الاول هو الآخر ، معتبرا عند
اليونان والرومان كالقوة العمياء عديمة الاحساس ، كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه ،
ويقدمونه هدايا ويقتلونه ، فكانت قيمته تتناسب دائما مع قوة عضلاته وإمكاناته
العملية . لقد كان الأبر في ذلك الحين مثلبها تماما للمقياس الذي نستعمله
اليوم في تقدير الرقيق التكني .. لقد برهن الأخير على أنه أكثر طواعية وأقل
ثمنا من الرقيق البشري ، فراح تدريجيا يحل محل سلفه من بنى الإنسان
(ص ٧٩ و ٨٠) .

ولكن العبيد التكنيين ما لبثوا ان غطوا مساحات واسعة من الأرض بفضل
تفوقهم العددي الساحق ، وأخذوا يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية نفس
المجتمع المعاصر واتضح خطرهم (وبعبارة عسكرية فنية نقول ان الرقيق التكني
يقبض بين يديه على النقاط الاستراتيجية في مجتمعنا من جيش وخطوط مواصلات
وتأمين وصناعة .. وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم الوفا من (البروليتاريا) —
اذا كنا نعني ذلك فان الكلمة : جماعة ما في مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة
لم تدخل بعد في صميم المجتمع — وعلى ذلك فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين منوط
بأيدي البشر ، وهذه البروليتاريا التكنية ستثور يوما دون أن تستعمل الحواجز
والسدود كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشري . وان العبيد التكنيين يشكلون
اليوم أكثرية جديدة ساحقة في المجتمع الحاضر .. انهم يتصرفون في هذا المجتمع
وفق قوانين خاصة مختلفة عن قوانين البشر . ولن أذكر من هذا القوانين الخاصة
بالعبيد التكنيين إلا الآلية والمباثلة وأعمال الذات (ص ٨١ — ٨٢) .

أما كيف ستم سيطرة العبيد التكنيين (أو القوى الآلية) على مقدرات
الانسان ، فنجوابه (ان مجتمعنا فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين وحوالي
مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه فانه ستسوده أكثرية بروليتارية

.. ان تأثيرها يتزايد يوما بعد يوم . والانسان مرغم على معرفة عاداتهم — وقوانينهم وتقليدها ليستطيع استخدامها والامادة منهم . وكل مستخدم مرغم على معرفة لغة مستخدميه وعاداتهم ليصدر اليهم اوامره وليستخدمهم . وقد جرت العادة ابدًا على أنه اذا كان المحتل أقل عددا من الأمة التي يحتلها فإنه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة وتعلم لغتها بسبب المنفعة والمصلحة وسهولة التفاهم، انه يرغم على ذلك رغم انه محتل وسيد شديد البأس. ان مثل هذه النظرية يتتابع تضخما وانتشارها ضمن محيط مجتمعنا رغم أننا نأبى الاعتراف بها .. وهكذا فإننا سنختلئ يوما ما عن انسانيتنا ، ونتبع اسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين .. وستكون دلالة هذا التخلئ عن الانسانية احتقار الكائن البشرى . ان الرجل المصرى يعرف انه وزملاءه من بنى الانسان ليسوا اكثر من عناصر يمكن استغلالها . والمجتمع الحديث الذى يحوى على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبدا تكتيا ينبغى ان ينظم وأن يعمل حسب النظم التكنية لأنه مجتمع خلق وبنى على احتياجات ميكانيكية وليست انسانية . وهنا تبدأ الفاجعة ، ان المخلوقات البشرية مرفوعة على الحياة والتصرفات وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية . وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التى تتساوى مع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشرى . الذى يعيش فى اقلية يصبح مع الوقت اقلية (بروليترارية) فيخفف اسمه من المجتمع الذى ينتمى اليه ، والذي لا يمكن ان يعود اليه إلا بعد التخلئ عن طبيعته الانسانية فينجم من ذلك شعور بالدونية ، ورغبة فى تقليد الآلة ، والتخلئ عن صفاته الانسانية المميزة التى تبقيه بعيدا عن اوساط النظام الاجتماعى .. ان هذا التحول البطيء سيقلب الكائن الحسى ، وسيجعله متخليا من احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة فى حدود ضيقة واضحة الآلية تماما، كذلك العلاقات التى تجمع بين قطعة آلة وأخرى. ولسوف يقلد البشر فى علاقاتهم الاجتماعية وفى الإدارة وفنون النقش والرسم والأدب ، وفى الرقص ، الأسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكنى . وستصبح المخلوقات البشرية ببغاوات العبيد التكنيين . غير أن هذا ليس الا بداية الفاجعة) وما هى الفاجعة الحقيقية إذن ؟ (هنا تنفجر المأساة لأننا لا نستطيع ان نتحول الى آلات (!!) غير ان الاصطدام بين الحقيقتين : الحقيقة الآلية والحقيقة البشرية، قد وقع ولسوف يربح الرقيق التكنى الحرب، سوف يستبد ويصبح مواطننا آليا فى مجتمعنا . أما نحن — الكائنات البشرية — فسنصبح بروليتراريا (اقلية) فى مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الأكثرية الساحقة من المواطنين الآليين) (ص ٨٢ — ٨٤) .

بعد هذا يوضح لنا جيورجيو بأسلوب مؤثر ، كيف سيضيع الانسان وسط هذا التراكم فى الآلات ، وكيف انه سيتحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية ، وعلى الرغم من أن المجتمع الانسانى سيجد آنذاك وسائله الترفيحية إلا أنه سيفقد أرضا بورا لا تنتج العبارة ، وبدون هؤلاء تتمرغ الحضارة بالتراب (ان كل

الأحداث التي تدور الآن على الكرة الأرضية والتي ستقع خلال السنوات المقبلة، ليست إلا بتأثير تلك الثورة ومراحلها : ثورة العبيد الآليين . إن الرجسال لن يستطيعوا بعد ذلك أن يحيوا في مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشري . سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيق الآلي ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة طبيعتهم الانسانية ستحدث توقيفات آلية وأحكام آلية ، وتسليحات آلية ، ومقتل آلي لن يكون للمرء حق في الحياة بل سيعامل وكأنه مكبس أو قطعة آلة . حتى إذا شاء أن يعيش عيشة انسانية تعرض لسخرية العالم بمجموعه) (ص ٨٤ و ٨٥) .

هل رأيت — يتسائل جيوروجيو — في حياتك مكبسا يعيش حياة شخصية ؟ ما أروعه من سؤال يجب عن نفسه (!!) ثم يستأنف المؤلف طرح نذره (أن هذه الثورة ستحدث على سطح الأرض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء منها لا في الغابات ولا في الجزر ولا في أي مكان . لن نستطيع أمة في العالم أن تحبنا (!!) سوف تتشكل جيوش العالم كله من ماجورين يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلي الذي لن تعيش فيه الفردية . ولعل هذا العصر هو الفترة الأكثر ظلمة في تاريخ البشرية . إذ لم يحدث لحد الآن أن احتقر الإنسان إلى هذا الحد . . والحياة البشرية لم تعد لها من قيمة إلا بوصفها مصدر حركة . والقياسات أضحت علمية محضة ، وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة ، ولسوف نصبح بعد النصر الكلي عبيدا آليين) (ص ٨٥ و ٨٦) .

لن نستطيع أمة في العالم أن تحبنا (!!) وهذه هي النتيجة المحتملة لسيطرة القيم الغربية على كل أقطار المعمورة . صحيح أننا في الشرق لا زلنا متأخرين ولا زالت هناك مساحات واسعة من حياتنا الاجتماعية بعيدة عن تغطية الآلة . إلا أننا — على أية حال — نصدر — وهذا هو المهم — عن الفلسفة التي يصدر عنها الغرب . ويتضاعف الخطر لدينا ويغدو خطرا مزدوجا لأن نظرتنا إلى التكنولوجيا يسودها تقديس أشد للعلاقات المادية بدافع من شعور عميق بالنقص إزاء هذه الحضارة .

لن نستطيع أمة في العالم أن تحبنا ، فالحضرة ليست قضية مواعع جغرافية أو لون على الخارطة السياسية أو أعلام متميزة ترفرف في أعالي السماء ، وإنما هي الفكرة ، التصور ، العقيدة التي يصدر عنها المجتمع فهي التي ستجعل للموقع الجغرافي قيمته الحقيقية في حماية الأمم المهزومة ، وهي التي ستعطى للسون مواد الثابتة التي لا تحول وهي التي ستجعل الرايات الخفاقة في الأعلى نداء قدسيا يربط الأرض بالسماء ، ويفتح ذراعيه للمتعبين المنكودين ، ويعدمهم بكل ما أفقدهم إياه سيطرة العبيد التكننيين .

ولنرجع إلى جيوروجيو ، بعد أن قلنا أعيننا في أقطار الأرض ، فلم نر أمة واحدة تصدر عن عقيدة تحمي بها القيم الانسانية من الزوال ، لنرجع إلى الشاهد لنرى ماذا يقول . . (طالما أن الإنسان قد تحول إلى مجرد مقياس ذي قيمة آلية

— اجتماعية — فانه يتعرض للاصابة بأى شىء — يمكن أن يوقف وأن يرسل للقيام بالأعمال الشاقة ، أو أن يستاصل عرقه ، أو أن يرغم على مزاوله أعمال معينة سواء لواحد من مشاريع السنين الخمس أو لتحسين العرق أو لأهداف أخرى ضرورية للمجتمع الألى دون أى اعتبار لشخصية المجتمع التكنى يعمل — حصرا — تبعا لنظرية تكيفه مستعملا المجرذات ، الخطط فقط ، مستهدفا معيارا واحدا فقط هو الإنتاج .. لن يبقى رجل واحد حرا على سطح الأرض . ان الانسان سيصبح مغلولاً خلال سنين طويلة فى المجتمع التكنى .. لكنه لن يموت فى الإغلال . ان المجتمع التكنى يستطيع ابتداء رفاهية لكنه لا يستطيع خلق الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقرية . وان مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء . ان المجتمع التكنى الذى يحل محل المجتمع الغربى الذى سيكتسح سطح الأرض كله سيفنى هو الآخر : ان اينشتاين يؤكد انه يكفى انقطاع جيلين متتابعين فقط فى خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكى تنهار كسل المشيدات القائمة على هذا العلم) (ص ٨٦ و ٨٧) .

ولنستمع — من ثم — الى حوار داخلى لانسان يقف بخضوع أمام الآلة ، ملغيا وجوده الباطنى من الحساب (لا يسمح لك التفكير بأى شىء آخر وإلا فإن الآلات تعاتبك على الفور . ان كل انتباهك ينبغى أن يكون موجها نحو زميلك الألى ذلك العامل المجد الذى يأتبك بالصندوق ويده اليك وعليك أنت أن تتحنى وتأخذ الصندوق من يديه .. ان الانسان الألى لا يمكنه أن ينطبع برغبة الانسان . فعليك إذن أن تسابر رغباته وتوازن حركاته من حركاتك — ان هذا طبيعى جدا لأنه هو العامل الكامل .. أما أنت فأنك لست كاملا .. ان الآلات تملك الترتيب والنظام والكمال ، فإذا حاكيتهما غدوت عاملا من الدرجة الأولى) (ص ٢٤٠ و ٢٤١) .

وهذا منولوج آخر يعبر فيه بطل الرواية : (مورتيز) عن ياس كامل لى الحرية ازاء آليه لا تسمع ولا ترى (ان كل شىء يتحقق آليا ، وكل شىء يسير بالكهرباء .. وأنت (!!) أنك فى صميم آلة جبارة ، فمهما بذلت من مجهود وتحركت وتناضلت فلن تخرج منها . ان الآلة صماء ، انها لا تسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط .. انها تعمل عملا مدهشا تبلغ فيه الكمال الذى لا يستطيع الانسان بلوغه أبدا .. ان الآلة لا تنسى كما ينسى المخلوق البشرى ، انها دقيقة .. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤) .

وما هى النتيجة ؟ (كان مورتيز يشعر بأن كيانه يذوى كالفصن المحروم من الرى . كان إذا ما أرى الى فراشه — مساء — يشعر باحساس غريب يخل الى انه ينحنى ويلتقط صندوقا . وإذا نهض من سريره صباحا شعر كأنه انتصب فى تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق فى العربة وباتت يداه مارغتين ممتدة بانتظار وصول الصندوق التالى — كان نومه خلوا من الأحلام — أما جبينه وعينه فقد غشيها الاكتئاب والقلق — لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الأرض) (ص ٢٤٦) .

للبحث صلة

الإسلام

والشرايع السابقة

للشيخ محمد محمد الشرقاوى

النبى صلى الله عليه وسلم : « قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا .. قلت : يا رسول الله .. كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا .. قلت : من كان أولهم ؟ .. قال : آدم : قلت : يا رسول الله .. أنبى مرسل ؟ .. قال : نعم » (١) .

فالدين كلمة عامة ينطوى فيها ما يدعو اليه الإسلام من الإيمان بالأصول العامة ، والتصديق الجازم بالمعتقدات الإلهية والغيبية المشتركة من وحدانية لله وعرفان بصفاته الكاملة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والتقدير خيره وشره ، حلوه ومره ، مع ما يكمل ذلك من شريعة توضح للناس مسالكهم على دروب الحياة العملية ، وأخلاق تنهى عن غلاتهم الشخصية

دين الله تعالى واحد لا يتجزأ ، وهدفه الاسمى محدد لا يقبل التخالف أو الخلاف ، فالدين إيمان وعمل ، والهدف : عبادة الله ، بالباقيات الصالحات ، وهذا هو المحور الأساسى المشترك بين كافة الشرائع والرسالات والحجر الأول فى صرح الروحانيات القائمة على المبادئ الفاضلة ، والقيم السامية ، .. من لدن آدم عليه السلام حين تفجرت بظهوره أول رسالة سماوية تستهدف هداية الإنسان الى الطريق الأمثل ، وحمايته من طغيان الهوى والنفس ، الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .. الذى التقت بدعوته الجامعة نقطتا البدء والنهاية فى حلقة الديانة الحقنة .

.. أخرج ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن

له مسلمون » (٤) أى أنهم لو شهدوا يعقوب حال نزول الموت به ، ووداع الحياة له ، لشهدوا توافقه مع ابنائه على وحدة الدين ووحدة الخلق واعتناق الإسلام الذى هو ملصة الله الأزلية الأبدية الدائمة السريدية التى لا يقبل سواها ، ولا يعتد بدونها « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .. « ان الدين عند الله الإسلام » .

ومن هنا يبدو جليا أن الإسلام ليس ديناً خاصاً بأمة دون أخرى ، وليس دعوة عنصرية أو انعزالية تعيش بمنأى عن الأديان والشرائع التى تقدمتها ، وتتخذ لنفسها سياجا انطوائيا .. انما الإسلام فى معناه الأشمل هو الجانب الأخير المكمل لما سبقه من جوانب أخرى من رسالات الله الى البشر .. تضافرت كلها على اخراج وحدة دينية متكاملة .. ساهم فيها كسل رسول بقدر ، وشاركت فيها كل رسالة بجهد ، وقد استغرق أعداد هذه الوحدة الدينية الجامعة الزمان كل الزمان ، من عهد آدم أبى البشر الى حفيده الخاتم للرسالات والنبوات محمد عليهما الصلاة والسلام وهو الذى أتم البناء وأكمل الأداء على أحسن ما يكون الوفاء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » وفى حديث للبخارى فى صحيحه تصوير صادق لهذا التوافق التام بين الرسالات كلها وفيه يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته ورسالته من تقدمه : « برجل بنى بيتاً فأكملته وزينه الا موضع لبنة ، فجعل الناس

والاجتماعية ، وحدود تزجر الخارجين منهم على قانون السماء وبهذا دان الله تعالى الأمم ، وساس الإنسانية كلها على اختلاف مدارجها زماناً ، بواسطة أنبياء مرسلين كانوا همزات وصل بين الخالق والمخلوق بدون تضاد فيها بينهم فيما هو جوهرى من الرسالات وفى هذا يقول القرآن الكريم : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (٢) أى ان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام قد حملا أبناءهما وصية التمسك بالدين الواحد المعبر عنه فى الآية السابقة على هذه الآية : « اذ قال لله ربه اسلم قال اسلمت لسرب العالمين » يقول الكشاف (٣) فى تفسير « اصطفى لكم الدين » أى أعطاكم صفة الأديان وهو دين الإسلام ووفتكم للأخذ به فلا يكن موتكم الا على حال الثبات على الإسلام .. فالنهي فى الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف الإسلام اذا ماتوا ، لظهور أن موتهم على خلاف الإسلام موت لا خير فيه ، وأن من حق هذا الموت الا يحل فيهم .. كما تقول : بت وانت شهيد ، وليس المراد الأمر بذات الموت بل بصفة الشهادة حين الموت اعتدادا بموت الشهداء وانها جدية بأن يحث عليها ، وكان اليهود يزعمون أنه ما من نبي مات الا وهو على اليهودية .. فنكذبهم الله تعالى بقوله : « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق اله واحد ونحن

يطوفون به ويمجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .
وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبي مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف أزمانهم وأقوامهم يشكلون صفاء واحدا متماسكا في مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفي قيادة الإنسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافي (٥) : أن الرأي المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم أنه شرع نبي من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. آخذا منها ما لم ينسخه هو في شريعته الأخيرة ، على أن النسخ في هذه الأحوال لا ينافي تصديقه للرسالات الأخرى .. لأن النسخ — على أصح الآراء العلمية — ليس تغييرا للأحكام ولا مخالفة لها وإنما هو أعلام وبيان بانتهاء الفترة الزمنية المحددة لسريان مفعول هذه الأحكام .. فالأحكام السابقة في الشرائع المتقدمة أذن قسمان : قسم ظهر انتهاء أمده فهو متروك وليس في ضمن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقسم ظهر استمراره ويقاؤه على المدى الطويل بطريق يقيني .. فهو مأخوذ به على أنه من شريعتنا .. على حد تعبير علماء الأصول : « شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه » وبهذا تتكامل الرسالات فيما بينها ، ويصدق بعضها بعضا ،

فكل الشرائع السابقة قد صارت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم شريعة محمدية باعتبارها ميراثا دينيا انتهى الى محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : « ثم أوفنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » والميراث ملك للوارث مختص به ، وفي آية أخرى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧) لكن لما دخل التحريف في كتبهم وتلاعبت الأهواء والأغراض بأهدافهم شرط الملءاء للاعتماد على كتبهم المتقدمة واندماجها في شريعتنا أن يقص الله تعالى علينا شرائعهم من غير تكثير ، أو تثبت ببيان صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أن يعقبها تأقيت أو نسخ (٨) .. وأما قوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٩) فمعناه أن لكل أمة شريعة عملية تناسب زمانها ومكانها وأحوالها ولكنها قابلة للنسخ إذا انتقلت الى أمة أخرى ذات نبي آخر له ظروف وأحوال مبينة .. فإذا انتقلت ودخلها نسخ لبعض

يطوفون به ويمجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .
وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبي مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف أزمانهم وأقوامهم يشكلون صفاء واحدا متماسكا في مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفي قيادة الإنسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافي (٥) : أن الرأي المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم أنه شرع نبي من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. آخذا منها ما لم ينسخه هو في شريعته الأخيرة ، على أن النسخ في هذه الأحوال لا ينافي تصديقه للرسالات الأخرى .. لأن النسخ — على أصح الآراء العلمية — ليس تغييرا للأحكام ولا مخالفة لها وإنما هو أعلام وبيان بانتهاء الفترة الزمنية المحددة لسريان مفعول هذه الأحكام .. فالأحكام السابقة في الشرائع المتقدمة أذن قسمان : قسم ظهر انتهاء أمده فهو متروك وليس في ضمن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقسم ظهر استمراره ويقاؤه على المدى الطويل بطريق يقيني .. فهو مأخوذ به على أنه من شريعتنا .. على حد تعبير علماء الأصول : « شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه » وبهذا تتكامل الرسالات فيما بينها ، ويصدق بعضها بعضا ،

اسرائيل في التوراة ان النفس بالنفس .. فلولا اننا متمبدون بها في التوراة مما لم ينسخ ، لما صح الاستدلال بهذه الآية على ايجاب القصاص بهذه الآية الكريمة مثبتة للقصاص في الانفس في شريعتنا كما كانت مثبتة كذلك عند اهل التوراة .. ما هذا الا لان الشرائع متداخلة في بعض ابعاضها بحيث يكبل بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا .

«٣» روى مسلم في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رقد أحدكم عن الصلاة او غفل عنها ، فليصلها اذا ذكرها فان الله يقول : (واقم الصلاة لذكرى) وهذه الآية القرآنية موجبة أساسا الى موسى عليه السلام كما حكى ذلك القرآن الكريم « فلما اتاهها نودي يا موسى . اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وانا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » (١٢) .. ومع ذلك استدلت بها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه على وجوب قضاء الصلاة التي نام أو غفل عنها تاركها اذا ذكرها .. فلو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأمه متمبدين بذلك في شريعتنا لما صح الاستدلال بها ، ولما كان لتلاوتها مائة تذكر .

«٤» ومع أن شرائع من قبلنا لم تذكر في حديث معاذ بن جبل حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن عرض لك قضاء فقال : اتقضى بما في

الأحكام وابقاء للبعض الآخر مع ما يضيفه النبي الجديد من أحكام أخرى ملائمة كانت هذه الخلاصة شرعية ومنهاجا لهذا النبي المتأخر .. وهكذا تتوالى النسخ والتعديلات على الشرائع العملية مع بقاء الأصول الثابتة كما هي بلا تعديل ولا تحوير ، حتى تنتهي في مسارها الحافل الطويل الى الشريعة النهائية التي لا يلحقها بعد ذلك نسخ ولا تبديل وهي شريعة نبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم فتكون بمجموعها عبارة عما لم ينسخ من كل الشرائع السابقة مضافا اليها الجديد في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ومن كل هذا وذلك تكون شريعة « الإسلام » . وقد استدلت العلماء على ذلك بما نجمه فيما يأتى :

«١» ليس من الحكمة ان يبتلى الناس سدى مهملين بلا أوامر ولا نواه في زمن ما .. فكل من تأهل للتكليف من الناس وبلغه ما جاء به نبي من الانبياء بطريق يقينى فهو مكلف به وهذا لا يعنى عموم رسالة كل نبي ، لانها قابلة للتغيير بظهور نبي آخر وبعدم عمومها حين نسخها ومعنى ذلك انه لا توجد نجوة لا دينية فسي التاريخ ويكون اهل الفترة هم الذين لم تبلغهم رسالة نبي بطريق يقينى العلم (١٠) .

«٢» اجمع العلماء على الاستدلال بقوله تعالى : « وكنتنا عليهم فيها ان النفس بالنفس .. » (١١) ، على وجوب القصاص في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والآية الكريمة تعنى أن الله تعالى اوجب على بنى



وبعد ،

فقد ظهر من هذا العرض الوجيز أن شريعة الاسلام حلقة في سلسلة الرسائل السماوية المتعددة ، وأنها متصلة بالشرائع والديانات السابقة اتصالاً عضوياً متكاملًا ، وأنها تمثل الحجر الأخير في بناء تام لا ينقصه إلا هذا الحجر النهائي وأن هذا البناء الشامخ من رسالة السماء يشكل في مجيئه دين الله الواحد الذي لا يتجزأ .

بيد أن شريعتنا تصرفت في أحكام الفروع التي اشتملتها الرسائل السابقة فابقت ما صلح منها للبقاء والاستمرار ، ونسخت ما ظهرت نهايته ، وانتهى أمد المقرر له عند الله حسب التطور الكوني العام وفق ما أراد الله تعالى لأنبيائه ورسالاته . . ولذا كانت الشرائع السابقة على شريعتنا تلزماً على أنها شريعة لنا من حيث كانت شريعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تنسخ ، قال صاحب الطويح (١٤) : « وهذا مذهب أكثر مشايخنا منهم أبو منصور والقاضي الإمام أبو زيد ، وشمس الأئمة وفخر الإسلام ، وعامة المتأخرين ، وإن خالف في ذلك المعتزلة فأحاله عقلاً ، كما خالف فيه الإمام الرازي والامدي وأحاله شرعاً » .

كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ، قال : فيسنة رسول الله ، قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله قال : اجتهد رأيي لا آلو . . فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » (١٣) أقول . . ليس خلط حديث معاذ هذا من التعرض للشرائع السابقة دليلاً على عدم اعتبارها في أسس التشريع الاسلامي لأن هذه الشرائع في الحقيقة مذكورة ضمناً في ثنايا القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » أو لأن هذه الشرائع قليلة نسبياً إذا قيست بالجديد في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذا لم تفرد بالذكر في حديث معاذ الذي تضمن موافقة الرسول عليه ، ورضاه به .

« ه » والقول بأن شريعتنا ناسخة لما تقدمها من الشرائع ليس على إطلاقه . . بل هي ناسخة لما خالفها من الأحكام ، لأنها تقطع بأن النسخ معدوم في الإيمان والكفر وغيرهما كالزنا ، والعصاص .

(٨) التوضيح ج ٢ : ٢٧٧

(٩) المائدة : ٤٨

(١٠) التحرير ج ٢ : ٢٠٩ .

(١١) المائدة : ٤٥

(١٢) طه : ١١ - ١٤ .

(١٣) تاريخ التشريع الاسلامي : ٨٠

(١٤) التوضيح ج ٢ : ٢٧٦

(١) التحرير للكمال بن الهمام ج ٢ ص ٢٠٨

(٢) البقرة : ١٣٢

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ : ٧٥

(٤) البقرة : ١٢٣

(٥) التحرير ج ٢ : ٢٠٨ .

(٦) التوضيح ج ٢ : ٢٧٧ وما قبلها وما بعدها

(٧) القصص : ١٢





للإستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلى

وضرب صدر معاذ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » ، فهذا ارتياح من الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآه من معاذ ، من أخذ بالقياس ، والاعتماد على الاجتهاد ، الذى هو بذل الجهد فى استخراج الحكم .

فولاه معاذ بن جبل لكتاب الله تبارك وتعالى ، ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه ، ولا يحجب عن عقله تلك الحقائق الهائلة التى تنتظر من يكتشفها ويواجهها .

ولعل هذه القدرة على الاجتهاد ، والشجاعة فى استعمال العقل والذكاء ، هما اللتان مكنتا معاذاً من ثرائه الفقهى الذى فاق به أقرانه وأخوانه ، وصار كماً وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعلم الناس بالحلال والحرام » .

وروى سعيد بن المسيب — رضى الله عنه — عن على بن أبى طالب —

بعد الاجتهاد المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامى ، بعد كتاب الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه » ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويؤيد هذا ما رواه معاذ بن جبل — رضى الله عنه — من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حينما وجهه إلى « اليمن » بقوله : « كيف تصنع أن عرض لك قضاء ؟ » فأجابه قائلاً : « أقضى بما فى كتاب الله » ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ » فقال معاذ : « أقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » فقال معاذ : « اجتهد رأيى ، لا آلو » ، فتهلل وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه

كرم الله وجهه — أنه قال : « قلت : يا رسول الله : الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال : اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ، ولا تتقوا فيه برأى أحد » .

من هذين الحديثين نسدرك أن الاجتهاد قسمان : قسم فردي ، وهو في الأمور التي يكفي لمعرفة حكمها اجتهاد فرد واحد . وقسم جماعي ، وهو الذي يكون فيه اجتهاد العالمين من المؤمنين فيها يعرض للأمة من الأمور التي تحتاج الى تبادل في الرأي .

والشريعة الإسلامية حين فتحت باب الاجتهاد للفرد أو للجماعة لم تترك لهم الحبل على الغارب ، بل وضعت لهم من القواعد العامة ما يعينهم على بلوغ الهدف ، ويوصلهم الى الغاية المرجوة ، من تنظيم سبيل الحياة للأفراد ، وقرار الحق والعدل .

ان المقصود من الشريعة الإسلامية هو جلب المصالح للناس ، ودفع المضار عنهم ، فيجب تحرى الحق والعدل حتى مع الأعداء ، يقول المولى تبارك وتعالى في محكم آياته : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » ، ويقول عز وجل : « ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « يسروا ولا تعسروا » ، و : « لا ضرر ولا ضرار » ، و : « الدين يسر » .

ويجب أن تكون العقوبة مناسبة للجريمة ، والعفو أقرب للتقوى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، ويجب ألا يؤاخذ فرد بجريمة غيره ، وأيضاً لا يصح التعلق بالأوهام والخرافات .

أما الضرورة فلها أحكامها التي تلائمها ، فقد يباح فيها ما هو ممنوع في غيرها ، : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ، : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » .

هذه بعض من القواعد العامة التي وضعها الاسلام ليستنير بها المجتهدون عندما يضعون أحكاماً للأشياء التي ليس لها نظير قبلاً .

ويرى العلماء أن الاجتهاد واجب عيني على كل انسان تعرض له حادثة ويخاف موتها ، وكفاً على كل مسئول عرضت له حادثة ولم يخف موتها وهناك غيره من المجتهدين ، ويندب الاجتهاد عند السؤال عن قضية أو مسألة لم تحدث بعد .

بيد أنه من الأصلح والأحسن أن تكون هناك مجموعة من العلماء ذوي الكفاءة ، يقع على كاهلها مهمة الاجتهاد في الأمة ، وأن الأمة تأثم وتقع في الخطأ اذا انقطع عنها الاجتهاد ، ورضيت بالتقليد الأعمى والجمود .

ويمتد المجتهد في استنباطه للأحكام على ثلاثة أمور :

أولها : المعرفة بالأدلة السمعية ، التي ترجع الى كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، والإجماع ، وما اختلف فيه العلماء من الأصول : الأخرى .

ثانيها : التأكد من دلالة اللفظ في اللغة العربية ، وفي استعمال البلغاء وهذه الدلالة تكون إما بالمنطوق ، أو بالمفهوم ، أو بالمعقول ، وهو القياس وأنواع الاستدلال المختلف في حجيتها بين أئمة المسلمين .

ثالثها : المقدرة على الموازنة بين الأدلة ، واختيار أرجحها وأقواها .

كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين لا يعد تشريعا فى الحقيقة ، بل هو توسيع فى تبسيط القواعد الكلية ، وتطبيق ذلك على الأحداث الجزئية المتجددة ، واستنباط للأحكام بهما والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة .

وقد ثبت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يأذونا بالاجتهاد ، وأنه قد وقع منه بالفعل ، وفى مواضع كثيرة كان لا بد فيها من الاجتهاد ، ومما ينبغى أن يعرف أن اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما به فى نفسه من روح التشريع ومبادئه فهو يستند فى تشريعه الأحكام السى تطبيق المبادئ العامة لتشريع القرآن الكريم ، لترجع أحكام السنة السى أحكام القرآن الكريم ، ومن ثم لا يقع بين أحكام القرآن الكريم وأحكام السنة النبوية الشريفة أى تخالف أو تعارض .

فمن مواضع الاجتهاد التى يشهد بها القرآن الكريم ، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استشار أصحابه فيما يصنعه بأسرى « بدر » ، فأشار أبو بكر الصديق بالفداء ، وأشار عمر بن الخطاب بقتل الأسرى ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى رأى أبى بكر الصديق ، وبعد تنفيذ القرار فى شأن الأسرى نزل القرآن الكريم معاتباً المسلمين ، لا على ما فعلوه بالأسرى من إطلاق سراحهم والمن عليهم بالفداء كما يتوهم ، بل على نفس الأسر أثناء القتال ، أى على عمل تكتيكى حدث خلال المعركة ، وهو اكتفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعض المسلمين بقاء المعركة باقتل ما يمكن من الخسائر فى أرواح زعماء « قريش » . ومن أمثلة اجتهاد الرسول صلى

فلا بد اذن لمن يرغب أن يكون مجتهدا من أن يكون على معرفة بالكتاب ، ودراية مقراءاته ، وعلم بناسخه ومنسوخه ، وفهم للسنة النبوية الشريفة واصطلاحاتها ، ودرجاتها ، ومركزها من القرآن الكريم ، ولا بد أيضا من أن يكون ملما بعلم الأصول واللغة ، وآراء الفقهاء ، وأسباب اختلافهم ، وطرق الاستدلال السمعية والعقلية ومقاصد الشريعة . ويرى الشاطبى فى كتابه « الموافقات » أن درجة الاجتهاد إنما تحصل من اتصف بوصفين :

الأول : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

الثانى : التمكن من استنباط الأحكام بناء على فهمه لمقاصد الشريعة .

فالمقاصد الشرعية هى الأساس ، فإذا وصل المجتهد الى أدراك قصد الشارع فى كل مسألة ، فقد تمكن من الوصول الى أن يطلق عليه وصف خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى توضيح وتبيين الخطاب الإلهى فى التعليم والفتوى .

ولا يلزم المجتهد فى الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا فى كل علم يتعلق به الاجتهاد على البجاسة ، بل الأمر ينقسم ، فإن كان له علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا عن طريقه ، فلا بد أن يكون على علم به حتى يكون مجتهدا فيه ، وما عدا ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معينا فيه ، ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد .

الاجتهاد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الحياة الدنيا إلا بعد أن تكامل بناء الشريعة الإسلامية ، فما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فقال لى : يا عمرو ! اقض بينهما .
 قلت : أنت أولى بذلك منى يا نبي
 الله . قال : وإن كان . قلت : على
 ماذا اقضى ؟ قال : إن أصبت القضاء
 بينهما فلك عشر حسنات ، وإن
 اجتهدت فأخطأت فلك حسنة » .
 وقتل أبو قتادة رجلاً من المشركين ،
 فأخذ سلبه غيره ، فقال أبو بكر : « لا
 تقصد إلى أسد من أسد الله يقاتل
 عن الله ورسوله فنعطيك سلبه » .
 أردد عليه رسول الله
 صلوات الله وسلامه عليه : « صدق ،
 أردد عليه سلبه » .

الاجتهاد في زمن الخلفاء الراشدين

عقب وفاة الرسول صلوات الله
 وسلامه عليه وانقطاع الوحي ،
 انتقلت قيادة الأمة الإسلامية في الأمور
 الدينية والدنيوية إلى الخلفاء
 الراشدين وكبار الصحابة ،
 فاضطلعوا بهذا الواجب ونهضوا بهذا
 العبد .

وقد مضوا على هذه الخطة :
 فكان أبو بكر الصديق - رضي الله
 عنه - إذا ورد عليه حكم نظر في
 كتاب الله عز وجل ، فإن وجد فيه ما
 يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب
 الله عز وجل نظر في سنة رسول الله
 صلوات الله وسلامه عليه ، فإن وجد
 فيها ما يقضى به يقضى به ، وإن لم
 يجد في سنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما يقضى به ، جمع كبار
 المسلمين واستشارهم ، فإذا اجتمع
 رأيهم على شيء قضى به .

وكان عمر بن الخطاب - رضي
 الله عنه - يفعل ذلك ، ويكتب به إلى
 قضاته في الأقاليم ، فقد كتب إلى أبي
 موسى الأشعري قاضيه بـ « البصرة »
 يقول : « القضاء قرينة محكمة أو
 سنة متبعة » ، ثم قال : « الفهم الفهم

الله عليه وسلم التي تعتسد على
 القياس وتعتبره من المدارك الشرعية ،
 أن امرأة جاءت وقالت : « يا رسول
 الله : إن أمي ماتت وعليها صوم نذر ،
 أفأصوم عنها ؟ فقال : أرايت لو كان
 على أمك دين فقضيته أكان يجزىء
 عنها ؟ قالت : نعم . فقال صلوات
 الله وسلامه عليه : فدين الله أحق أن
 يقضى » .

ومن ذلك أيضاً أن رجلاً وضعت
 زوجته ولدا أسود فأنكره ، فقال
 الرسول صلوات الله وسلامه عليه
 للرجل : « هل لك من إبل حمر فيها
 أورق ؟ » ، قال : نعم . فقال له صلى
 الله عليه وسلم : « فمن أين ؟ » ، قال
 لعله نزع عرق . فقال صلى الله عليه
 وسلم : « وهذا لعله نزع عرق » .

وكان الرسول الكريم يأمر أصحابه
 بالاجتهاد ، وقد تعددت وقائع الاجتهاد
 من الصحابة في حضرته وفي غيابه ،
 فكان الرسول صلوات الله وسلامه
 عليه يقرهم على ما أصابوا ، وينكر
 عليهم ما أخطأوا ، فقد حكم الرسول
 الكريم سعد بن معاذ في يهود بني
 قريظة « بناء على طلبهم ، وارتضائهم
 لحكمه وتنفيذهم له ، فحكم سعد بأن
 يقتل الرجال ، وتسبي النساء
 والأطفال ، وتصادر الأموال والممتلكات
 فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :
 « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
 سبع سموات ، لقد رضى بحكمك هذا
 الله والمؤمنون ، وبه أمرت » .

وقد قاس سعد بن معاذ حكمه على
 اليهود على المحاربين الذين ذكرهم
 القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى
 « إنما جزاء الذين يحاربون الله
 ورسوله ويسمون في الأرض فساداً
 أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
 وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من
 الأرض » .

وروى عن عمرو بن العاص أنه
 قال : « جاء خصمان يختصمان إلي

وجل ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ وباطل ، بل كانوا دائماً يجهرون بقولهم : « ان كان صواباً فبسن الله ، وان كان خطأً فمن أنفسهم ومن الشيطان » ، وهذا أبو بكر الصديق يقول عندما سئل عن الكلالة : « أقول في الكلالة برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وان يكن خطأً فمضى ومن الشيطان ، الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

ولقد سئل عبد الله بن مسعود عن المرأة التي تزوجت ، ولم يفرض لها زوجها صداقاً ، وتوئى قبل أن يدخل بها فقال : « أقول فيها برأى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صواباً فمن الله ، وان يكن خطأً فمضى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » ، وقد وافق اجتهاده ما قضى به الرسول صلوات الله وسلامه عليه في بروع بنت واشق الأسلمية .

ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا مهمة شاقة وصعبة ، لان الفتوحات الإسلامية قد اتسعت اتساعاً كبيراً ، وامتد نفوذ العرب الى ما وراء « الجزيرة العربية » ، ودخل الناس من كل جنس ولون في دين الله أفواجا وارتفعت الراية الإسلامية فوق دول وشعوب مختلفة .

ووجد المسلمون أنفسهم أمام أحداث ووقائع ليس لهم سابق علم بها ، فلكل بلد عاداته وتقاليده ، وأخلاقه ونظمه التي اتخذ منها قواعد يسير عليها في معاملاته ومبادلاته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام لكل ما يطرا لهم من مسائل في كتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتاب والسنة لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من أحداث ووقائع ، فكان من اللازم والضروري أن يجتهد أئمة المسلمين في تطبيق القواعد الكلية

فيما تلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق » .

وقال لشريح حينما ولاه قضاء مدينة « الكوفة » : « اقض بها استبان لك من قضاء رسول الله ، فان لم تعلم كل اقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من قضاء أئمة المجتهدين ، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المجتهدون فاجتهد ورايك ، واستشر أهل العلم والصلاح » .

هذه هي خطة الإسلام في الحكم على الأمور ، إما العمل بما في كتاب الله عز وجل ، وإما العمل بما في سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإما الرجوع الى الاجتهاد في تطبيق القواعد العامة والعمل بروح الشريعة الإسلامية .

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يرجعون في اجتهادهم الى قاعدتين هامتين : - الأولى : قياس الأشباه على النظائر فاذا عرضت لهم حادثة وقع مثلها في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحكم فيها الرسول الكريم بما جاء في القرآن الكريم ، أو حكم فيها برأيه ، حكموا في الحادثة التي عرضت لهم بمثل الحكم في الحادثة الأولى .

الثانية : رعاية مصالح الناس وتحقيق ما فيه الخير لهم ، والعمل على إقامة مجتمع تسوده الألفة والمودة والمحبة والسلام ، هذا اذا لم يكن للحادثة نظير سابق .

ولم يكن الصحابة في اجتهادهم تسودهم روح التزمّت أو الجسود ، بل كانوا يعلمون أن للشريعة الإسلامية أحكاماً يجب تحقيقها ، ومصالح يجب رعايتها حق الرعاية ، ومع ذلك فلم يجرؤ أي منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله عز

المقررة في الكتاب والسنة ، على هذه الأحداث والوقائع الجزئية .
وقد مهد لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الاجتهاد ومرتهم عليه ، واثابهم عليه في حالتي الخطأ والصواب ، فبذلوا أقصى ما فيهم وسعهم في استنباط الأحكام لكل ما يجد من الحوادث ، فنظروا في النصوص ودلائلها ، ففاسوا واستحسنوا .

فمن أول ما صادف المسلمين وواجههم عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الأحداث والوقائع التي لم يكن لها نظير ولا شبيه في عهده « مسألة المرتدين » ، فقد امتنع هؤلاء المرتدون عن إيتاء الزكاة ، مع إقامتهم للصلاة وإقرارهم بالإسلام ، فرأى أبو بكر الصديق أن يتنازلهم حتى يؤدوا ما كانوا يؤدونه للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم ، وقال : « كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، فقال له أبو بكر : « ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها إيتاء الزكاة ، كما أن من حقها إقامة الصلاة » ، قال عمر : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للمقاتل معرفت أنه الحق » .

وتهاافت المسلمون في قتال المرتدين وقتل من حفظة القرآن الكريم وقرائه عدد كبير ، فخشى عمر بن الخطاب أن يضيع القرآن الكريم بموت حفظته ، فعرض على أبي بكر الصديق أن يجمع القرآن الكريم في مصحف ، فنفر أبو بكر من هذا الرأي وقال : « أفعل ما لم يفعل رسول الله ؟ » ، وأرسل إلى زيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر فنفر . الآخر من هذا الاقتراح وقال مثل ما قال أبو بكر ، ولكن عمر بن الخطاب بين لهما أن هذا الاقتراح لا ضرر فيه ، بل على العكس فيه الخير

للإسلام والمسلمين ، فلم ير أبو بكر الصديق بدا من تلبية نداء مستشاره وتنفيذ اقتراح ساعده الإيهن ، إيتفاء مرضاة الله تبارك وتعالى وحرصا على كتابه ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة وجعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذي كان يمتاز بالكنافة والزهادة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع والعصب وصدور الرجال ، وقد ضم إليه أبو بكر سالم مولى أبي حذيفة ، وكان مع كتاب الوحي ، ليعاونه في جمع القرآن الكريم ، وعهد بتدوينه إلى زيد بن ثابت .

وقال أبو بكر لممر وزيد : « أقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتاباه » ، وبذل زيد كل جهده في جمع القرآن الكريم ، ووجد الآيتين الأخيرتين من سورة « التوبة » مع خزينة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ، وهاتان الآيتان هما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تولوا فقل : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وتم جمع القرآن الكريم في كتاب روعيت فيه الدقة التامة في كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القرآن الكريم عند أبي بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب الذي عهد بها إلى ابنته السيدة حفصة زوجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه لم يكن قد بويح لأحد بالخلافة بعد عمر ابن الخطاب في ذلك الوقت .

لقد واجه عمر بن الخطاب في خلافته من الأحداث ما لم يواجهه أحد غيره ، ففي عهده فتحت البلاد ، وخضعت لسلطان المسلمين ونفوذهم دول ذات مدينيات قديمة ، ولعل هذا كان أحد أسباب امتياز عمر بسعة الأفق ، فقد اجتهد في تعرف المصلحة التي يهدف إليها النص ، واسترشد بهذه المصلحة في أحكامه التي كان

يحكم بها ، أى كان يعمل بروح الشريعة الإسلامية لا بحرفيتها .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه تزوج من يهودية . « المدائن » - وعندها علم عمر بذلك طلب منه أن يخلى سبيلها ، فأرسل إليه حذيفة يسأله : « أحرام هى يا أمير المؤمنين ؟ » ، فجاءه رد عمر يقول : « أعزم عليك ألا تضع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها ، فأتى أخاف أن يقتدى بك المسلمون ، فيختاروا أهل النخبة لجمالهن ، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » ، وقد أخذ بهذا محمد صاحب الإمام أبى حنيفة ، وإن كان ليس حراما .

وروى ابن عباس أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد طلاق واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق ، وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مخالفين بذلك شريعة الله عز وجل ، فقال : « إن الناس قد استعملوا فى امر كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ، فأما عليه تأديبا للمطلقين ، وزجرا لغيرهم فلم يعد يقبل من أى شخص حلف بالطلاق ثلاثا دفعة واحدة أنه أراد تأكيد لفظ الطلاق الأول باللفظين التاليين له ، وذلك لتغير حال الناس عما كانوا عليه قبل ذلك من التزام القول الحق والتمسك بالصدق .

ومن اجتهادات عمر أنه أوقف إقامة الحد على السارق ، وذلك عندما حلت المجاعة بالناس فى (عام الرمادة) وكثر السراق . ، لأنه رأى أن المصلحة المرجوة من العقوبة لا تتحقق فى وقت حلت فيه مجاعة بين المسلمين قد تلجئهم إلى أكل الحرام . ومن اجتهاداته أيضا أنه منع إعطاء المؤلفات قلوبهم نصيبهم المفروض فى الزكاة ، كما فى قوله تبارك وتعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة

قلوبهم » ، لأنه فهم أن المقصود من إعطاء المؤلفات قلوبهم نصيبا من الزكاة هو اعزاز الإسلام ، وتكثير سوادهم ، أما وقد أصبح الإسلام عزيزا قويا ، فيصير الإعطاء على هذا الشكل فيه ذلة وخنوع ، فمنعه لأنه يريد العزة للمسلمين التى أرادها الإسلام لهم .

وهناك أمور ومسائل كثيرة كان يجتهد فيها عمر بن الخطاب ، وأصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه يمدونه بالرأى ويؤازرونه بالمشورة .

ولقد كان عمر بن الخطاب أول من قرر قاعدة اختلاف الأحكام الاجتهادية باختلاف البيئات والبلاد ، وهى نتيجة ضرورية لازمة لاتساع رقعة الاراضى الإسلامية ، وتفرق الصحابة فيها ، واختلاف البلاد التى دخلت فى الاسلام فى الأحداث والمشاكل .

الاجتهاد فى عصر التقليد :

فى هذه المرحلة اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا ، وانتظمت بلادا وشعوبا مختلفة فى العادات والتقاليد ، والمعاملات والحضارات ، وبث غير العرب ممن دخلوا بين المسلمين الكثير من علومهم وبحوثهم ، وفتحووا للعقول أبوابا عديدة من التفكير ، فكان من أثر اختلاطهم بالعرب أن قامت نهضة عقلية عظيمة ، فنشط الاجتهاد نشاطا كبيرا واتسعت دائرته ، واتجه المجتهدون الى ما لم يتسع له زمن أسلافهم ولم تنهيا لهم أسبابه ، وأصبح الفقهاء يفترضون الأحداث التى لم تقع ، ويستخدمون وسائل اجتهادهم فى تعرف الأحكام لتلك الفرضيات ، حتى أصبحت عادات الناس على اختلاف أحوالهم وتعدد أممهم محكومة بالفقه ومتصلة به ،

ولم تعد الفوارق الاقليمية تباعد او تفرق بينهم ، فالروابط التشريعية جعلت منهم امة واحدة في التقاليد والمظاهر الشرعية .

واستمر علماء المسلمين في اجتهادهم في شتى الاقطار ، حتى اخذت المذاهب الفقهية تنتشر وتتميز بصفتها ، ويتخذ كل مذهب طابعه الخاص به ، وابندا الناس يتحيزون كل الى المذهب الذي يختاره ، ولم يكد ينتهى عصر الدولة العباسية حتى انحصرت المذاهب المتعددة في اربعة مذاهب فقهية هي : المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الحنبلي .

ثم تلا ذلك فترة من الركود والجمود اقل منها باب الاجتهاد وانقطع ، وكان هذا الركود والجمود من اسباب انتقاص سلطة القضاء الشرعي ، وقصره على ما يسمى الآن بالاحوال الشخصية ، وفي اقتباس الاحكام والقوانين الاخرى من القوانين الاجنبية .

وقد حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الوقوع في انقطاع الاجتهاد ، وامر بالحرص على وجود المجتهدين في كل عصر من العصور ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رعوسا جهالا مسئلوا فانفوا بغير علم ، فضلوا واضلوا » .

الاجتهاد في عصر النهضة الحديثة :

وفي عصر النهضة الحديثة احس الناس في بعض البلاد بما في الاقتصاد على العمل ببعض المذاهب ، في اجزاء من المسائل التي تواجهها

من ضيق وبعد عن مجاراة الاصلاح الذي تنشده ، على ما في الشريعة الاسلامية من يسر ومرونة وسهولة ورعاية لمصالح الامراء والجماعات ، فاتجهت الافكار الى الاقتباس من الاحكام الشرعية من آراء علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، متى كان في هذا الاقتباس تحقيق لمصالح الناس ، ولا يناقض اصلا من اصول الشريعة الاسلامية ، وبهذا العمل ثبت الدليل العملي على مرونة الفقه الاسلامي ، وعلى كثرة ما يحتويه من بحوث قيمة في شتى المجالات .

ان الاجتهاد هو العلم الذي وضعه الاسلام ليشرك به المجتهدين الكفاء في التشريع ، وهو ما يجعل الشريعة الاسلامية قابلة للتطور والدوران مع المصلحة العامة والخاصة في جميع العصور ، وفي كل الجهات ، وهو ما يوفق بين ادعاء المسلمين ان الشريعة الاسلامية قد تمت في زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبين حاجة المجتمعات الى احكام للقضايا التي تحدث والتي ليس فيها نص سابق من قرآن او سنة .

وعدم ادراك المستشرقين لمغزى الاجتهاد وكثته ، وفضله وعظمه ، هو الذي جعلهم يقولون : ان الشرع الاسلامي محكوم عليه بالجمود ، لجرده كونه قد تم وضعه بالوحي في زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . هذه هي الشريعة الاسلامية التي فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ، بل اوجيته فيما لا نص فيه من كتاب او سنة ، بشرط أن يجري ذلك في ظل القواعد العامة التي تقر الحق والعدل ، وتعترف باختلاف الاحكام الجزئية باختلاف البيئات مراعاة لاختلاف عادات الناس وتقاليدهم ، ونظمهم ، واساليب حياتهم .



الحكم الشرعي

وأقسامه وطرق التعرف عليه

للدكتور : محمد سلام مذكور

حكمت السفية اذا اخذت على يده
ومنه سمى الحاكم حاكما لمنعه
الظالم من ظلمه .

وقد استعمل لفظ الحكم في القرآن
في نحو مائة موضع ترجع في جبلتها
الى القضاء والفصل لمنع المفسدان
والظلم من ذلك قوله تعالى :
« يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض فاحكم بين الناس بالحق »
وقوله « وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط » .

الحكم له اطلاقات تختلف باختلاف
العلوم ، فيطلق في العرف . على
اثبات امر لأمر أو نفيه عنه ، كالحكم
بان الشمس مشرقة أو ليست
مشرقة لان في ذلك اثبات شروق
الشمس وعدمه .

والحكم في اللغة : نجاء في الغاموس
الحكم : القضاء ، وحكم عليه بالامر
حكما وحكومة وحاكمه دعاه الى
الحاكم ، ويقول ابن فرحون الفقيه
الملكى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ : ان
الحكم في مادته بمعنى المنع ومنه

ينطلق بها القاضي عند الفصل في الدعوى « منطوق الحكم » ، كما يقال « تأجلت القضية للنطق بالحكم » ويقابل الحكم الشرعي عند الأصوليين في الجبلية ما يسمى بالقاعدة القانونية عند رجال القانون وهي عبارة عن تكليف صادر إلى الأفراد تتوجه به سلطة تملك التكليف والأمر دون تعقيب ، وتكمل احترامها سلطة عامة في الجماعة عن طريق ما يتوافر لديها من قوى مادية لا تغلب .

فالقاعدة القانونية عندهم هي القانون الوضعي إذ تنظم الروابط الاجتماعية ويصحبها الجزاء الذي توقعه الدولة . وواضح أن القانون الوضعي أنها يتناول علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو بالجماعة أو علاقة الجماعات بعضها ببعض وأن الجزاء فيه قاصر على ما توقعه الدولة . بينما الحكم الشرعي ينظم علاقة الفرد بخالقه فوق تنظيمه الروابط الاجتماعية ، كما أنه أرمذ جزاء أخرويا لمن يخالفه وثوابا لمن يطيعه .

الحكم الشرعي عند الفقهاء : يطلق المشتغلون بالفقه الإسلامي الحكم على الأثر المترتب على خطاب الشارع لأعلى نفس الخطاب الذي يعتبرونه دليلا . فيقولون الصلاة حكمها الوجوب ودليل ذلك قول الله تعالى (وأقيموا الصلاة) ، وقربان الزنى حرام بدليل نهى الله سبحانه عن الاقتراب منه في قوله جل شأنه : « ولا تقربوا الزنى أنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وتقييد الحكم بكونه شرعيا أي مفسوبا إلى الشارع سواء أكان الحكم صادرا منه مباشرة أم بواسطة اجتهاد المجتهدين . إذ المجتهد لا ينشئ الأحكام باجتهاده ، وإنما يلتبس أحكام الشارع التي لم ينص عليها

وقد ورد لفظ حكم بهذا المعنى أيضا في السنة النبوية في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (1) . وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن السيدة عائشة رضي الله عنها : « هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ؛ وإذا سئلوا بذلوه وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم » . وإنما سمي من يتولى الشؤون العامة حاكما لأنه هو الذي يفصل في كل ما يتعلق بأمور الدولة مباشرة أو بواسطة نوابه وأعوانه .

وما أوردنا لمعنى كلمة حكم هو الاستعمال الشائع الدارج في اللغة ومع هذا فقد استعملت فيها بيمان آخر كما يروى ابن منظور في لسان العرب « الحكم : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم والحكم العلم والثقة ومن ذلك قوله تعالى « وأتيناها الحكم صبيا » ، وقوله « ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما » .

الحكم الشرعي عند الأصوليين : الأصوليون من أهل السنة يعرفون الحكم الشرعي بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا . فيقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » حكم من الشارع بذلك ، وقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » حكم منه بذلك .

ويقرب من الحكم عند الأصوليين الحكم في الاصطلاح القضائي لأنه عندهم الصيغة التي يصدرها القاضي للدلالة على ما فصل به في موضوع النزاع ، ولذا يقال على العبارة التي

الجانبين على الآخر والذي يترتب على هذا هو الإباحة فيصير المكلف مخيرا بين فعل الشيء وتركه ويسمى الفعل مباحا . وقد سبق أن أوردنا لهذا القسم بعض معالمت نشرت من قبل في المجلة .

٣ - تعلق على وجه الوضع بجعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا ويرى بعض الأصوليين أن كون الفعسل صحيحا أو غير صحيح من هذا النوع

اقسام الحكم الشرعي عند الفقهاء :

١ - أحكام شرعية علمية أى نظرية وهى المتعلقة بالمعائذ كوجوب الإيمان بالله وبرسله والبعث والحساب والإيمان بأن القرآن حجة إذ كل هذه الأحكام المقصود منها الاعتقاد دون العمل فمى غير متعلقة بأفعال المكلفين وانما بمعائدهم ولذا سمي هذا النوع من الأحكام « بالأحكام الاعتقادية » .

٢ - أحكام شرعية وجدانية : تتعلق بالأخلاق وما يجب أن تكون عليه نفوس الناس ، وقد شرعت هذه الأحكام لتحاط العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس والمقومة للشخصية الفردية فالحكم بأن أكرمك عند الله انتقامك ، والحكم بأن القول المعروف والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والحكم بأنه اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، والحكم برد التحية بأحسن منها ، والحكم بأن الصدق واجب والكذب حرام الى غير ذلك من الأحكام فانها كلها لا تتعلق بأفعال المكلفين التى يؤاخذ عليها المرء فى الدنيا .

٣ - أحكام شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال

بواسطة الأمارات والأدلة الظنية .
نظرة المعتزلة للحكم الشرعى :
يرى المعتزلة أن الحكم الشرعى ما يثبت الشارع فى الفعل موافقا لما فيه من صفه اذ النصوص عندهم كاشفة للأحكام ، وإن العقل يستقل بإدراكها . وهذا بناء على مذهبه وفى التحسين والتقييع العقلين . اذ يرون أن الأعمال تنقسم الى حسنة وقبيحة فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن انقاذ الغرقى والهلكى وكتقييع الكفر وإيلاء البرىء ، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يدرك بالسمع كالعبادات .

فالعقل عندهم يمكن أن ينفرد بمعرفة حكم الله فى الجملة من غير وساطة كتبه ورسله بناء على ما فى الأعمال من صفات وآثار تبين وجه النفع أو الضرر ، وقالوا : أن حكم الله فى أعمال المكلفين هو على حسب ذلك النفع أو الضرر ، وعلى وفق ما يدركه العقل من حسن أو قبح واذا لم يدرك العقل شيئا من ذلك توقف حتى يرد حكم الشرع .

اقسام الحكم عند الأصوليين : يبين من التعريف الذى قدجناه عنهم للحكم الشرعى . أن تعلق خطايب الشارع بفعل المكلف ينقسم الى ثلاثة اقسام :

١ - تعلق على وجه الإقتضاء الذى هو الطلب سواء كان طلب الفعل جازما وهو ما يسمى بالإيجاب أو الوجوب ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالنسب ، أو كان طلب الترك جازما وهو ما يسمى بالتحريم أو الحرمة ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالكراهة
٢ - تعلق على وجه التخيير بين فعل الشيء أو تركه دون ترجيح لأحد

وتصرفات سواء اكانت من العبادات او المعاملات او الجنائيات ، وسواء اكانت تتعلق بالافراد او الجماعات فى الحرب او السلم وهذه الاحكام كالوجوب والندب والحظر والكراهة واباحة الشيء وترك المكلف حراً فى اختيار فعله او تركه ، ومنها الاحكام التى توصف بها العبادة بانها قضاء او أداء والتى يوصف بها العقد بانه صحيح او فاسد الى غير ذلك . وهذا النوع هو الذى يسمى بالاحكام الشرعية العملية لتعلقها بأعمال المكلفين . وهذا النوع من الاحكام هو موضوع علم الفقه .

طريق معرفة الاحكام الشرعية العملية :

تحتاج الاحكام الشرعية العملية فى معرفتها الى التأمل والفهم ، ويتفاوت الناس فى الفهم تتفاوت مراتبهم فى الفقه والتعرف على هذا النوع من الاحكام . وهذه الاحكام وان كانت كغيرها من الاحكام الشرعية تؤخذ من الوحي كتابا كان او سنة الا ان الفقيه اذا لم تسعفه النصوص الموحى بها لجأ الى استلزام روح الشريعة ومقاصدها .

وفى هذا اكبر مجال للاجتهاد . والأدلة التى تؤخذ منها الاحكام الشرعية العملية منها ما هو دليل كلى اجبالى لم يعين فيه شيء خاص وهذا كما يطلق على المصادر الأصلية وما يتفرع عليها ، يطلق أيضا على القواعد الأصولية ، ومنها ما هو دليل جزئى يبين حكما معيناً ويتعلق بمسألة بخصوصها كالدليل الذى يبين نصيب الزوج والاب والام وغيرهم فى الميراث وهو قوله تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد

فلكم الربع مما تركن » وقوله سبحانه « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » والدليل الذى يبين تحريم الزواج بالاخت الرضاعية وهو قوله تعالى فى آية المحرمات من النساء « .. وأخوانكم من الرضاعة » والاحكام الشرعية العملية اما ان تكون مستقاة من نصوص مقطوع بثبوتها ومقطوع بدالاتها على الاحكام أوحى بها كذلك لحادث وخصومات اقتضت بيان احكامها حين وقوعها كخريضة الصلاة والصوم والوفاء بالعقد فالنص القرآنى باقامة الصلاة والوفاء بالعقد وصوم رمضان مقطوع بثبوتها ومقطوع بدالاتها ، والسنة الفعلية بعدد الركعات وبيان مواقيت الصلاة مقطوع بثبوتها وبدالاتها .

كما تكون الاحكام الشرعية العملية مستقاة من غير نص لكن المجتهدين فى عصر أجمعوا عليها مثل إجماعهم على توريث الجدات السدس ، وإجماعهم على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن .

وهذان النوعان من الاحكام لا يجوز مخالفتها بحال ولا الخروج عليهما اذ هى احكام لازمة لا تقبل النقض وليست محلا للاجتهاد لأن دليلها لا يحتل الشك لقطعية ثبوتها ولا التأويل لقطعية دلالتها .

وقد تكون الاحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الدلالة كقوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » اذ القرء لفظ مشترك يفيد فى اللغة معنى الطهر كما يفيد معنى الحيض . فالقول بان عدة المطلقة ثلاثة أظهار أو ثلاث حيضات كلاهما مستتبطن من دليل ظنى فى دلالاته وان كان قطعى الثبوت . ولذا كان ذلك محل اختلاف الفقهاء .

الحاضرين فيها سنة حكموا بها ، وقد يروى أثرها في مسألة أحد الرواة ولم يثق بروايته غيره ومن ذلك استحقاق المطلقة بائنا نفقة العدة وأجرة المسكن فقال عمر بن الخطاب أنها تستحق وتبعه في ذلك جمع من الصحابة استنادا إلى عموم النص في قوله تعالى « اسكنوهن من حيث سكنتم .. » وقوله « لا تخرجوهن من بيوتهن .. » والاحتباس يوجب النفقة .

بينما يرى ابن عباس أنها لا تستحق وتبعه في هذا البعض استنادا إلى ما روته فاطمة بنت قبيس فقد طلقها زوجها طلاقا بائنا وهو غائب ، ولما سأله النفقة قال : والله مالك علينا شيء . فلما سألت الرسول قال : ليس لك عليه نفقة . ولما علم عمر بذلك قال : لم نسمع هذا الحديث ولا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أو نسيت .

كما يختلف الفقهاء فيها يدل عليه الحديث من أحكام ومن ذلك ما روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » فان هذا الحديث دلالة ظنية أذ يحتمل أن يكون المراد لا صلاة صحيحة أو لا صلاة كاملة كما فهم الحنفية .

ومن ذلك اختلافهم في مفاد حديث فرض رسول الله زكاة الفطر في رمضان صاعا من تمر فقد فهم البعض أن كلمة تمر مرض استعملت بمعناها الشرعي الذي هو الطلب على سبيل الإلزام والتحتيم وقالوا : إن صدقة الفطر واجبة ، وفهم البعض أنها هنا بمعناها اللغوي وهو التقدير وقالوا : أنها مندوبة لا واجبة وأساس هذا الخلاف هو حمل اللفظ على المعنى الشرعي أو اللغوي .

والأحكام المستقاة من نصوص ظنية على وجه العموم فيها مجال

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين .. » فان الآية وإن كانت مقطوعة بها من ناحية الثبوت إلا أن دلالتها على ما يجب مسح من الرأس ظنية ، كما أن دلالتها على الترتيب عند من يقول به أيضا ظنية فكان مجالاً للاختلافات الفقهية .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الثبوت ، فأخبار إحد من السنة دليل ظني في نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم تكن هناك قرائن تقطع بذلك على تفصيل مبين في موضعه . ومع هذا فقد تكون دلالة بعض الأخبار قطعية وينحصر التثبت منها فقط في السند ومدى صحة نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم وقد تكون دلالة بعضها ظنية أيضا وهذا مجال الاختلاف فيه فسيح أذ يختلف الفقهاء في التيسود التي يشترطونها للتثبت من صحة نسبة الخبر للأخذ به ، أذ أن السنة لم تكتب في عصر الرسول ولم يحرص الصحابة على حفظها حرصهم على حفظ القرآن ، فضلا عن أن الرسول أذن لهم في روايتها بالمعنى لمن له قدرة على أصابة المعنى ، كما أن السنة كانت غالبا تصدر عندهما يتطلبها البيان أو تدعو إليها الحاجة وقد يحدث ذلك والرسول في بيته أو في المسجد أو في مكان آخر ولم يكن بحضرته إلا واحد أو نفر قليل يعلم ما صدر في المسألة من سنة ، فلما مات الرسول عليه الصلاة والسلام وتفرق الصحابة في البلاد كانت تعرض القضية في المدينة أو في غيرها فإن كان عند الصحابة

للاجتهاد ، غير أن الاجتهاد يكون في حدود فهم المراد من النص وترجيح أحد معانيه على الآخر دون خروج على ذلك ما دام النص قطعي للثبوت أو حفت به قرائن تجعله في حكم المقطوع به .

وقد تكون الأحكام الشرعية لم يرد بها نص تشريعي ، ولم تكن موضع إجماع ، وأنها جاءت وليدة استنباط أفراد من المجتهدين حسب ما وصلت اليه عقولهم ، ومن الواضح أن مجال الاجتهاد فيه أبعد واختلاف الرأي فيه أوسع إذ العقول متفاوتة والاتجاهات متغايرة ، والعوامل الخارجية التي تؤثر على منهج الفقيه في الاستنباط مختلفة ، والحكم الشرعي الذي ينتهي اليه أحدهم من هذا يكون حكما ظنيا حتى إذا اتصل به أمر ولي الأمر فإن حجتيه تكون قاصرة على عصره ما لم يصير حكما إجماعيا ..

وكان لكل من فقهاء الصحابة والتابعين خاصة منهجه الخاص في استنباط الأحكام عند انعدام النص فمنهم من يؤثر الاتجاه إلى القياس فيعدي حكم ما فيه نص إلى القياس وشيبيهه مما ليس فيه نص لاشتراكهما

في العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه إلى مراعاة مصالح الناس ودفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلزام روح التشريع وأساسه العامة في كل مسألة لم يرد فيها نص .

والأحكام الظنية أن لزمت أحدا فأنها تلزم المجتهد نفسه ، والمقلد الذي يستفتي فيفتي بحكمها ومع هذا فإن المجتهد إذا أداه اجتهاده بعد ذلك إلى خلاف ما رآه وجب عليه الأخذ بما أداه اليه اجتهاده الأخير .

ومن الأحكام الشرعية العملية التي بينتها النصوص ، والأحكام الشرعية العملية التي لم تبينها نصوص وإنما حلت عليها الإمارات الشرعية يتكون الفقه الإسلامي ، أو بعبارة أخرى الأحكام التي أخذت من الكتاب والسنة مباشرة ويكون مصدرها السدين والأحكام التي تؤخذ من المصادر الأخرى ويكون مصدرها الرسمى الفقه . فمن مجموعها يتكون الفقه الإسلامي . الذي يجب أن يكون مصدر القوانين في دار الإسلام .



(١) هذا الحديث غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعله مروى بالمعنى من أحاديث صحيحة جاءت في الاتصية ، وقد اشتهر هذا النص بين الأصوليين والفقهاء : انظر كشف الخفاء لمزيل الإلbas ١ هـ ص ١٤٢ .

الحج والعمرة

وَدَعَاءُ الرَّسُولِ

تَوَكَّلْ عَلَى النَّاسِ حِجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »

لِلإِسْتِاذ : أَحْمَدُ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْمُنْشَاوِي

مَشْرُوعِيَّةُ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ :

فَرَضَ الْحَجُّ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « أَنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » .

وَيُلَاحِظُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ فَرِيضَةُ الْحَجِّ بِمَا رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَفَى كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَمَا اسْتَطَعْتُمْ : الْحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَتَطَوَّعَ » .

وكَذَلِكَ كَانَتْ مَشْرُوعِيَّةُ الْعَمْرَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « أَنْ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شُعَائِثِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى « وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ » الْآيَةَ .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .
والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس في الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .
فالايان به واجب ، ويكره ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كقرا كل من انكر فريضة الحج ، ذلك لانه علم من الدين بالضرورة .
لما العمرة ، فاختلفت في حكمها مدارس الفقه الاسلامي ، فمن قائل بوجوبها ، ومن قائل باستحبابها ، وفي رأى بعضهم هي بين الواجب والمستحب ، أى هي سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » والى قوله : « واتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سنتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة . . وعلى كل فهي كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجة كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض ، اذا أدت في رمضان . . يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لام سنان الأنصاري : « ما منعك ان تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان (أى بعيرين نستقى عليهما) فركب أبو قلابة وابنه أحدهما . وترك الآخر للنضح عليهما ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .
وعلى هذا لا يائى من اعتقد أنها دون الواجب بخلاف الحج فان من اعتقد أنه دون الواجب يكره باعتقاده .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟ :

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم متى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة في بيت الله الحرام لله وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لاهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا في دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم في كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التي كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذي فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الأمل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها ساء بعمرة .

وتجئ فريضة الحج في السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشهد فرحهم لأنهم أدركوا أن تمام الأمر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لا محالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين وللمكة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهي بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكل دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وأن كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة في مكة ، والزكاة والصوم في المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لاهل مكة .

أعمال الحج والعمرة :

أعمال الحج عشرة : أولها الإحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالزدلفة سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدي لمن عليه هدي ، تاسعها الحلق أو التقصير عاشرها طواف الإفاضة .

أعمال العمرة أربعة : الإحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الإحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الأعمال تختلف درجتها في الحكم بين الركن والواجب والسننة والاستحباب . أما الأركان فهي في العمرة ثلاثة : الإحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هي أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الأفعال في كل من الحج والعمرة هي بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب في باب الحج غير الواجب في غير الحج . فالواجب في الحج يجبر بالدم ، وفي غير الحج هو الركن لا يجبر إلا بفعله ، كالركوع في الصلاة ، فإنه لا يجبر بسجود السهو ، إنما يجبر بالركعة كاملة .

فقه الحج والعمرة : لقد تكلمنا في الأسطر السابقة عن أركان الحج والعمرة وفكرنا بقية الأعمال وكل ما نريد بيانه في هذه الأسطر هو درجة ما عدا الأركان من الأحكام الفقهية .

فسنن الحج هي الغسل للإحرام ومس الطيب قبل الإحرام وتنف الأبط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الإحرام وملازمة التلبية من الإحرام حتى رمى الجمرة الأولى ثم تنتهي التلبية في الحج ، وأيضاً تنتهي التلبية في العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الأسود ، واستلام الركنين ، وصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمي الجمرات . والهرولة في الأشواط الأولى من الطواف ، وبين الميادين في السعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير وطواف الوداع ليلاً ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن في الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقسول بالوجوب ، وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الإفاضة والرمي هذا لا يضر وليس فيه شيء من الفداء ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأل كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم بأكملها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وإنما الحرج على مرتكب غيبة فقط في هذا اليوم .

ما يحرم على الحاج والمعتبر : يحرم على الحاج والمعتبر بعد الإحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ما قتل من النعم » — أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتبر لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، وحرم عليكم صيد البر ما دمت حراً .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه الأكبر الصيد الذي يحرم على الحاج والمعتبر الأكل منه ، والصيد الذي لا يحرم ، فلقد قدم إليه صلى الله

عليه وسلم في رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الأكل ، وقال لصاحبه : « نحن حرم » وقدم له أيضا لحم صيد فأكل منه
وهنا اشترط الفقهاء في حلية الصيد للحاج أو المعتبر أربعة شروط :
أولها ، ألا يكون الحاج أو المعتبر هو الذي صاد الصيد بنفسه . **ثانيها** ، ألا يكون قد اصطيده من أجله أو لأجله . **ثالثها** ، ألا يكون قد دل عليه الصياد . **رابعها** ، ألا يكون قد أعان على صيده .

إذا توافر النفي في هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، وأما إذا فقد نفي في هذه الشروط كان يكون اصطيد له أو أعان عليه أو أرشد عليه أو اصطاده هو ، فيحرم الأكل ، وفي الأخيرة يلزم الجزاء من النعم المائل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال . لقوله تعالى : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » .

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطؤه لزوجته وهو في الإحلال الأكبر وهو الذي يتبع بعد طواف الأناضة .

حكم الحائض والنفساء :

إذا حاضت المرأة أو نفست في الحج بعد الإحرام فأنها تستنفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهي حيضها أو نفاسها . . وإذا أدركها يوم عرفه تستنفر وتقف مع المسلمين يوم عرفه ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفه تتم حجها ، وفي الحج لا تنقض أحرامها ، وأما في العمرة فأنها تنقض أحرامها برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها . ذلك لأن العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفه » .

الفرض من الحج والعمرة :

أما حكمة فرضية الحج فهي مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى ، وهي حكمة متمدة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد عسرها العلماء بالتجارة التي يتبادلونها فهي منافع لكل من أهل مكة والحجيج . ثانيها : ذكر الله تعالى ، لأنه هجرة إلى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة ، وفيه تلبية ، ودعاء ، وصلاة ، وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج المعج والثج » . أما المعج فهو رفع الصوت بالتلبية ، والثج إبسالة دم الهدى . **ثالثها** : قضاء التفث ووفاء النذر ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الحج : « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ثم يقول تعالى : « ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ويشعر الحاج في رحاب بيت الله تعالى بالأمن والطمأنينة من الحياة وشروطها وآثامها ذلك لأنه في حرم آمن لاتمسه فيه فتنة ولا يلهمه شيطان لأنه ضيف الله ، والله وحده هو الحامي له والحارس عليه . ومن كان في هذه الحظوة شعر بالأمن والطمأنينة التي لا يمكن أن تصيب قلب إنسان في مكان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا » والله على الناس حج البيت » .

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره مع الوقفة بتاريخها وقيمتها في الدعوة الإسلامية . وفي الرجوع بالقلب والفكر إلى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أي بصيرة أو التي السمع وهو شهيد .

إنها تعلم الإنسان كيف يكون محمديا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة إلى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التي شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن بإسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن بإسلامه وبدينه ، فلقد سووم عليه بالمسال والجاه والسلطان والتملك ، فقال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

إنه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق في الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوى بيت الأرقم بن أبي الأرقم أول منتدا في الإسلام وأول دار أقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه إلى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا بأسه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكتمه علوا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الإيمان ، وذكر ما كان من إبراهيم خليل الله وولده إسماعيل من صبر على بناء بيت الله وإقامة قواعده ، ومن صدق في أداء الأمانة ، ومن قوة في الحفاظ على دعوة الله وكلبته .

إنها بحق منافع عظيمة كلها تبعث في النفس الأمل في الأمة وفي الإسلام وفي الحق وفي الخير الذي لا يخرج من هذه الأمة إلى أمة أخرى أبدا مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

دعوات الرسول وأماكنها في الحج :

روى عن الشافعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من تلبية في حج أو في عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستماذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الإهلال من الميقات في ذي الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه .

والدعاء الثاني : لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجد الحرام من باب بني شيبه وحين رأى الكعبة قال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، إليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة بسلام ، اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وبراً وتكريما » .

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا في طوافه بدعاء خاص إلا قوله « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » . هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الآية كما هو مروي في بعض الأحاديث « اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة » ثم يقرأ الآية : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ومن الأدعية الماثورة في الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » اللهم اني أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق

والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم تمنى بما رزقتنى وبارك لى فيه : وأخلف على كل غائبة لى بخير .

وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم رقى الصفا حتى رأى البيت ، فاستقبله وقال ثلاث مرات : « لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا يوم عرفه وبين عليه الصلاة والسلام أن خير الدعاء دعاء عرفه وخير ما قلته أنا والنبون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفقنة القبر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقول ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ولك ربى ترائى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكاتى وتعلم سرى وعلايتى ، لا يخفى عليك شىء من امرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المتر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهاج المذنب الذليل وأدموك دعاء الخائف الضريب ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ورغم أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجبرات بل كان يكبر ، عند كل حصة ، وكذلك لم يدع فى طوافه للأناضة .
ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آييون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

منكرات يجب تجنبها :

يحمل كثير من الحجاج أكتافهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكتافهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبدع السيئة ، ذلك لأن لباس الاحرام هو للدنيا والآخرة ، ولا شىء يفضل ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث مات أحد الحجاج فأمر الرسول أن يغسل ولا يمس طيب أو مسك وأن يكفن فى لباس احرامه ، وأن يبقى ذراعه الأيمن ووجهه مكشوبا ، لأنه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : يقوم يوم القيامة وهو يلبى ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شهادة له يوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم .



نظرات في الحديث

مرحلة تدوين المسند ٧

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

كما رأوا أنها تخلط بالحديث مادة واسعة من أقوال غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواهم يزيد عددا وحجبا عن مادة الحديث نفسه، بحيث أنك قد لا تعثر في الصفحة أو الصفحات من المصنف على حديث واحد منتشر كأنك تقرأ كتابا من كتب الفقه لا مصدرا من مواد الحديث .

فراى هؤلاء أن يبدأوا نوعا آخر من تدوين الحديث يقتصر على جمع الحديث ذاته ونقل ما بقى منه في الصدور الى السطور ، فشرعوا يجمعون الاحاديث مجردة عن غيرها ومرتبة على حسب ترتيب الصحابة من رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بحيث تجمع الاحاديث التي تروى عن طريق الصحابي معا مدونة في كتاب مستقل ، أو تجمع احاديث عدد من الصحابة بحيث تكون احاديث كل صحابي في باب واحد يحمل اسم هذا الصحابي وتدون معا في كتاب واحد .

وحيث ان الاحاديث في هذا النوع

فرغنا من الكلام على مرحلتين من مراحل تدوين الحديث ، الاولى مرحلة تدوين (الصحيفة) ، والثانية مرحلة تدوين (المصنف) ، ولقد رأينا أنه بينما كان الهدف من تدوين الصحيفة مجرد تقييد الحديث في صفحات معدودة كان قصد صاحب المصنف الى جانب ذلك - تبويب الاحاديث وترتيبها على أبواب الفقه ليتيسر استخدامها والرجوع اليها في استنباط الاحكام ونحوها ، ولذلك كان جامع المصنف يضيف مواد أخرى كثيرة مناسبة من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وفتاوى هؤلاء وآرائهم ، كما كان يضيف من عنده أحيانا عبارة أو عبارات للبيان والتوضيح أو النص على رأى أو ترجيحه .

وقبل انتهاء القرن الهجري الثاني رأت طائفة من علماء الحديث أن طريقة تدوين المصنفات تبدو وكأنها تهدف أكثر ما تهدف الى خدمة الفقه والاستنباط لا خدمة الحديث لذاته ،

ومن المسانيد التي اقتضرت على أحاديث صحابي واحد : « مسند أبي هريرة رضى الله عنه » الذى جمعه أبو أسحق إبراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، ومما اقتصر منها على أحاديث نوع خاص من الصحابة (مسند الصحابة العشرة) الذى جمعه أبو بكر أحمد ابن جعفر المتوفى عام ٢٤١ هـ ، ومن المسانيد الجامعة (مسند الإمام أحمد ابن حنبل) رضى الله عنه ، وقد اختاره من سبعمائة ألف وخمسين ألفا حفظها من الأحاديث .

وهنا يحضرنا سؤال هام عن كيفية ترتيب المسانيد الجامعة كمسند الإمام أحمد ، التى تحتوى على عدد كبير من مسانيد الصحابة رضى الله عنهم ، أعنى كيف رتب مسانيد الصحابة فى مثل هذا المسند ؟ وكيف رتب أحاديث كل صحابي ؟ والجواب أن جامعى المسانيد قد اختلفوا فى طريقتهم ، فهم من رتب على حسب الترتيب الهجائى لأسماء الصحابة ، وهؤلاء قليلون ، ويقال إن بقى بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كان أول من صنع ذلك فى مسنده ، وأكثر مؤلفى المسانيد رتبوا الصحابة على حسب الأسبقية والفضل فى الإسلام ، فبدأ الكتاب بمسانيد الخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم الحكم ، ثم يتبعها مسانيد سائر العشرة المبشرين بالجنة ، وهكذا . ومنهم من رتب على حسب العشائر التى ينتمى إليها الصحابة ، أو على حسب الانتصار التى ينتمون إليها . وبعض المؤلفين يخلط فترتب أولا على حسب الأسبقية ثم على حسب العشيرة أو غيرها من الاعتبارات . أما الأحاديث الواردة فى باب واحد لمصاحبي واحد ، فالغالب أنها غير مرتبة فيما بينها

من الجمع والتدوين مرسدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره — الا ما قد يكون فى المجموع من زيادات نادرة — اصطلاح المؤلفون على تسمية هذا النوع من التدوين (المسند) ، فقالوا مثلا : (مسند عمر بن الخطاب) أو (مسند أبي هريرة) ، كما سماوا الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد (المسند) كذلك ، وكانهم يعنون بذلك : « الكتاب المسند ما فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ويعنونون لكل باب فى مثل هذا (المسند) الجامع لأحاديث عدد من الصحابة بكلمة (مسند) مضافة الى الصحابي ، فيقولون : (مسند أبي بكر) أو (مسند على بن أبي طالب) أو (مسند عائشة رضى الله عنها) ، وقد يسمونها : (أحاديث أبي بكر) و (أحاديث على بن أبي طالب) و (أحاديث عائشة) . وعلى هذا فخصائص (المسند) هى أن الحديث فيه مجرد عن غيره ، وتوجه العناية فيه الى الحديث لذاته ، وتضمم فيه أحاديث كل صحابي بعضها لبعض ، لذلك ترى الكثير من المسندات مجردة من أقوال الصحابة ومن تلامهم ، كما تخلو فى الغالب من زيادات يضيفها المؤلف لغرض أو لآخر ، ولما كان الهدف الأول من تدوين المسند هو تثبيت العلم ونقل ما بالصدر منها الى السطر ، واتجهت بهم والجهود لهذا القصد ، فقد صدرت المسانيد فى أحجام كبيرة بعضها يحتوى بضعة آلاف أو عشرات الآلاف من الأحاديث ، كما كثر عدد المسانيد فبلغ المائة أو زاد عليها . لذلك كانت حركة تدوين المسانيد حركة خصبة مباركة ، والىها يرجع الفضل فى جمع الكثير من الأحاديث والمحافظة عليها .

ابن محمد بن ابي شيبة المتوفى سنة
٢٣٩ هـ .

فمن هو من بين هؤلاء كان البادى
بتأليف جامع حديثي على طريقة
المسند التي شرحناها ؟ قال الحاكم
ابو عبد الله النيسابوري المتوفى عام
٤٠٥ هـ ان ابا داود سليمان بن داود
الطيالسي المتوفى عام ٢٠٣ وعبيد الله
ابن موسى العبيسي كانا اول من صنف
المسند على تراجم الرجال ، وقال
الدارقطني بل كان مسدد بن مسرهد
اول من صنف المسند ، وقال ابن
عدي : يقال ان يحيى بن عبد الحميد
الحضائي اول من صنف بالكونة ،
وكان مسدد اول من صنف بالبصرة ،
واسد بن موسى اول من صنف
بمصر (٢) .

والواقع ان من الصعب تحديد
الاسبق من هؤلاء في كتابة المسند ،
فقد كانوا متعاصرين ، ولا يبعد ان
اثنين منهم او اكثر دونوا مسانيدهم
في زمن واحد ، وربما يؤدي البحث
الى الكشف من محدث سبق هؤلاء
جميعا بكتابة جامع حديثي على
طريقة المسند فادعى اليهم هذا
الصنيع ، ولقد ذكر فؤاد سرجين ان
لمعد الله بن المبارك الحضائي المتوفى
عام ١٨٢ هـ (مسندا) توجد مخطوطة
منه في مكتبة الظاهرية بدمشق (٣) ،
وعلى هذا يكون عبد الله - وقد تلقى
عنه الكثيرون من ائمة الحديث في
عصره - سابقا في استخدام كلمة
(المسند) عنوانا لكتاب حديثي ،
واذا كان الجمع فيه على طريقة
المسند التي شرحناها فلعله يكون اول
من دون مسندا على الطريقة
الاصلاحية .

وبالاضافة الى المسادة الحديثين
المؤلفين للمسانيد ممن ذكرنا اسماءهم
كان هناك آخرون ممن تبعمهم واقتنى

ولا مبروية ، ولكنها مسردة سردا كما
ترد في خاطر صاحب الكتاب ، وان
كنت تجد احيانا احاديث الموضوع
الواحد متتالية في بعض المسندات
بلا فاصل ولا عنوان ، او بعضاوين
نادرة كما سنرى في مسند الحميدى
ان شاء الله واول من يعرف تبويب
احاديث كل صحابي في مسنده هو
الحفاظ بقي بن مخلد القرطبي
الاندلسي ، فكان كتابه مسندا
ومصنفا في نفس الوقت ، قال ابن
حزم عنه : انه روى فيه عن اكثر
من الف وثلاثمائة من الصحابة .

ولقد اختلف العلماء في تحديد اول
من سبق الى تأليف المسند بهذا المعنى
الاصطلاحي ، والثابت ان الباكورة
الاولى ممن نعرف من مدوني المسانيد
عاشوا في النصف الاخير من القرن
الثاني للهجرة وتوفوا خلال الاربعين
الاولى من القرن الثالث ، وكان اكثر
هؤلاء من المصريين ، ويظهر انها
سنة الله تعالى في المحدثين يبارك
في حياتهم ويطيل اعمارهم ، من
هؤلاء عبيد الله بن موسى العبيسي
الذي عمر طويلا وتوفى عام ٢١٣ هـ
وسليمان بن داود الطيالسي السدي
مات عام ٢٠٣ او ٢٠٤ هـ عن ثمانين
عاما ، ومنهم اسد بن موسى حفيد
عبد الملك بن مروان الذي ولد عام
سقوط دولة بني امية ، اى ١٣٢ هـ
وعاش حتى عام ٢٢٨ هـ وكان يسمى
(اسد الحديث) ، قال عنه النسائي :
« كان ثقة ولو لم يصنف لكان خيرا
له » (١) ، ومنهم عبد الله بن الزبير
الحميدى المتوفى عام ٢١٩ هـ ، وابو
اسحق ابراهيم بن نصر الطوعى
المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، ومنهم مسدد
ابن مسرهد البصري ، ويحيى بن عبد
الحميد الحضائي الكوفي وكلاهما توفى
عام ٢٢٨ هـ ، واسحق بن يعقوب بن
راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ ، وعثمان

آثارهم أو زاد فأدخل تحسينا واتقانا على طريقتهم ، من هؤلاء : أحمد بن منيع الطوسي المتوفى عام ٢٤٤ هـ ، وعبد الله بن محمد المسندي المتوفى عام ٢٢٩ هـ ، ومحمد بن أسلم الطوسي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، وأسحق بن بهلول التنوخي المتوفى ٢٥٢ هـ ، وأبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي المتوفى عام ٢٤٢ هـ ، الذي يقال إنه صلى على جنازته ألف ألف مسلم ، وعمار بن رجاء الاسترباداني المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ، والحرث بن محمد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، وأبو أسحق إبراهيم بن يوسف الرازي المتوفى عام ٣٠١ هـ ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي المتوفى ٣٢٧ هـ ، ودعلاج بن جعفر البغدادي المتوفى عام ٣٥١ هـ ، وإبراهيم بن نصر الرازي المتوفى عام ٣٨٥ هـ ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن جيع المتوفى عام ٤٠٢ هـ .

كان لكل من هؤلاء ولكثير من غيرهم ممن عاشوا في القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارئ معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أي قبيل نهاية القرن الثاني الهجري ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الأجزاء أو زاد على المائة

أو الألف من الأجزاء ! إذ عهد هؤلاء إلى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحدثوا عن حياة الرواة في الاسانيد واستطردوا وأفاضوا : وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شيبه بن أبي الصلت المتوفى في بغداد عام ٢٦٢ هـ ، صاحب المسند المجلد الذي قال عنه الحافظ الذهبي « ما صنف مسند

أحسن منه ولكنه ما أنه » (٤) ، ويذكر أن أحاديث أبي هريرة في هذا المسند شغلت مائتي جزء منه ، ومسند علي فيه بلغ خمسة مجلدات (٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البزار أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالمسرجي ، قال عنه الحافظ الذهبي : « صاحب المسند الأكبر » ونقل عن الحاكم أنه وصفه بأنه كان سفينة عصره في كثرة الكتابة ، وأنه صنف المسند مهنذا معللا في ألف جزء وثلاثمائة من الأجزاء (٦) .

وكي نأخذ فكرة واضحة عن هذه المسندات المطولة المعلقة نسوق هنا نموذجا أو نموذجين من مسند عمر ابن الخطاب من المسند الكبير ليعقوب ابن شيبه بن الصلت الذي أشرنا إليه . وقد عثر على الجزء العاشر من مسند عمر الذي هو باب أو فصل من مسند يعقوب بين مخطوطات إحدى المكتبات بالشام على يد الدكتور سامي الحداد الذي نشره عام ١٩٤٠ وحققه مع مقدمة مفيدة ، وكأنت طريقة يعقوب كما نقل الدكتور الحداد عن حاجي خليفة وأوضحها هو بالمزيد : أن كان يعقوب يذكر اسم الصحابي ، ثم يسوق ترجمته ويستطرد بترجمة رواية الإسناد ويذكر عللها ، وكان يفيض في نقد الرجال ويستطرد بترجمة رواية الإسناد ويذكر نوادرهم وما انفرد به الواحد منهم من الأحاديث .

ويبدو من الجزء العاشر الذي بينا ، أن يعقوب كان بعد ما ينتهي من ترجمة الصحابي مدعمة بالاسانيد والتفصيل والاستطرادات يشرع في سرد أحاديثه واحدا بعد الآخر ، جاعلا لكل منها عنوانا خاصا هكذا : « حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا » أو : « وحديثه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فعل كذا » ، واليك هذين التمثولين من مسند عمر بن الخطاب ومن الجزء الذي أشرنا إليه :

(١) [وحديثه — أى عمر — عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أتاني آت من ربي عز وجل فأمرني أن أصلي في الوادي المبارك »] .

« حديث حسن الإسناد ، وهو صحيح ، رواه علي بن المبارك والأوزاعي جميعاً عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم » .

« وعلى الأوزاعي ثقتان ، والأوزاعي أثبتهما ، في رواية عن الزهري خاصة شيء ، ورواية علي ابن المبارك عن يحيى بن كثير خاصة فيها وهي ، وقد سمع من يحيى ، وكان يحدث عنه بما سمع منه ، يحدث عنه بما كتب إليه ، ويحدث عنه من كتاب كان يحيى تركه عنده ، وهذا الحديث خاصة يروي أنه ما سمعه علي بن المبارك عن يحيى » .

[وهنا يسوق اسنادين عن كتاب يحيى الذي كان لدى علي بن المبارك ، واسناداً آخر بشأن درجة علي بن المبارك ، ثم يشرع في ترجمة الأوزاعي ويتحدث عن مبلغ ثقته وديانته ويطول في ذلك كله ، ويأتي بالاسانيد لمسا يقص عنه من قصص ونوادر ، ونقتبس من ذلك ما قصه عن الأوزاعي دالا على شجاعته] .

« ثنا محمد قال : ثنا جدي قال : ثنا عبد الملك بن الفارسي قال : ثنا الفيرباني قال : سمعت الأوزاعي يقول : لما فرغ عبد الله بن علي من قتل بني أمية بعث إلى وكان قتل يومئذ نيفاً وسبعين بالكافر كويات إلا رجلاً واحداً ، فدخلت عليه وقد أتم ذلك الجند بالسيف والعمد ، قال : فدخلت فسلمت فأشار بيده فمعدت ،

فقال : ما تقول في دماء بني أمية ؟ فحدثت قال : قد علمت من حيث حدثت ، أجب إلى ما سألتك ، قال : فحدثت أيضاً فقلت : كان لهم عليك عهد وإن كان ينبغى لك أن تفي لهم بالمعهد الذي جعلته ، قال : فقال لي : ويلك ! قال : أوليست الخلافة

وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها علي رضي الله عنه بصفين ؟ قلت : لو كانت الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضي علي بالحكمين ، قال : فنكس ونكست أنتظر ، قال : فاطلت ثم قلت : البول ، قال : فأشار بيده هكذا ، أى : اذهب ، قال : فمضيت نجعلت لا أخطو خطوة إلا ظننت أن رأسي يقع عندها » .

[وبعد أن يتم يعقوب قصصه عن الأوزاعي ، يستطرد فيسوق حديثاً بسنده رواه يحيى بن كثير عن الأوزاعي ، ثم يسوق حديثاً آخر بسنده رواه أئس بن مالك عن الأوزاعي ، ثم يسوق حديثاً ثالثاً بسنده عن سفيان الثوري عن الأوزاعي ، وبعد هذا كله يأتي بالحديث الذي عنون له عن عمر وجعل هذا كله مقدمة له : بطريق علي ابن المبارك أولاً ، ثم بطريق عبد الرحمن الأوزاعي — هكذا] :

« فأما حديث علي بن المبارك »

« ثنا محمد قال : ثنا جدي قال : ثناه حجاج بن نصير الفساطيطي ، سألت عنه يحيى بن معين فقال لي صاحب الفساطيط كان شيخاً صدوقاً ولكنهم أخذوا عليه أشياء في حديث شعبة كان لا بأس به يعني أنه أخطأ في أحاديث من أحاديث شعبة .
« ثنا محمد قال : ثنا جدي قال : ثنا حجاج بن نصير قال : ثنا علي بن

النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه » .
واليك الآن النموذج الآخر ، وليس
فى اسناده مثل هذا التفصيل :

وحديثه فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة

« حديث حسن الاسناد ، رواه
أيضا عكرمة بن عمار عن سمك أبى
زميل عن ابن عباس عن عمر رضى
الله عنه ، قال على بن المدينى فى
هذا الحديث بعينه : لا تعلمه روى
عن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم إلا من هذا الوجه ، قال :
ولم يرده أهل الحجاز ولا أهل البصرة
ولا أهل الكوفة ، وهو على ما قال
على .

« وقد روى عن على بن أبى طالب
رضى الله عنه هذا الحديث من وجوه
صاح تأتى فى مسند على أن شاء
الله .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :
ثناه أبو حذيفة موسى بن مسعود
قال : ثنا عكرمة بن عمار عن أبى
زميل عن ابن عباس قال : قال عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه : كتب
حاطب ابن أبى بلتعة الى المشركين
بكتاب نجىء به الى النبي صلى الله
عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « يا حاطب ! ما دعاك
الى ما صنعت ؟ » قال : يا رسول
الله : كان أهلى فيهم وخشيت أن
يقدموا عليهم ، فقلت أكتب كتابا
لا يضر الله ورسوله . قال عمر رضى
الله عنه : فاختزلت السيف فقلت
يا رسول الله : اضرب عنقه فقد
كفر ، فقال : « وما يدريك لعل الله
عز وجل قد اطلع الى هذه العصاة
من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم » .

المبارك قال : ثنا يحيى بن أبى كثير
قال : حدثنى عكرمة عن ابن عباس
قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قال : حدثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتانى
الليلة آت من ربى عز وجل وهو
بالمعيق أن صـ فى هذا الوادى
المبارك ، وقال : عمره فى حجة » .

« وأما حديث عبد الرحمن الاوزاعى »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :
ثناه ابراهيم بن موسى الصغير ، قال
أبو يوسف : وهو ثبت مسلم — قال :
ثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا الاوزاعى
عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن
ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال وهم بالمعيق :
« أتانى الليلة آت من ربى عز وجل
فقال : صل فى هذا الوادى المبارك
وقال عمرة فى حجة » .

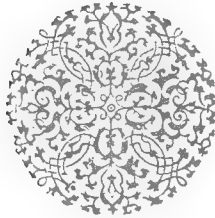
« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :
وثنا زهير بن حرب قال : ثنا الوليد
ابن مسلم قال : حدثنى الاوزاعى
قال : حدثنى يحيى بن أبى كثير قال :
حدثنى عكرمة مولى ابن عباس قال :
سمعت ابن عباس يقول : سمعت
عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول وهو بوادى المعيق :
« أتانى الليلة آت من ربى عز وجل
وقال : صل فى هذا الوادى المبارك
وقال عمرة فى حجة » .



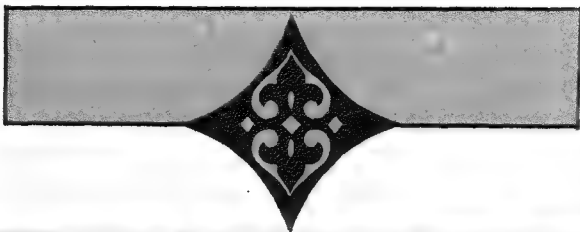
« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :
ثنا عبد الله بن محمد قال : ثنا محمد
ابن مصعب قال : ثنا الاوزاعى عن
يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن
عباس عن عمر رضى الله عنه عن

ولعلك قد لمست معنى ايها
 القاريء ، وقد اطلعت على هذين
 النموذجين ، مبلغ التطويل في المسانيد
 المعللة ، وهو تطويل غير ناشئ عن
 كثرة الاحاديث بها بل عن التحليل
 المفصل للمسانيد والاطناب في ذكر
 حياة الرواة والاستطراد بذكر
 القصص والنكات ، واستيعاب الطرق
 الموصلة للحديث او للمصاحبى راويه
 او لراو دونه ، ولعلك تتفق معى
 ايضا ان هذه الطريقة مع ما فيها من
 طرائف علمية وموائد تاريخية ونقدية
 وأدبية خروج عن القصد الأول مسن

تدوين المسانيد ، الا وهو تسجيل
 الاحاديث التى تتناولها اللسان كتابيا
 قبل أن تضع بذهاب حملتها ، والواقع
 أن هذه الطريقة الموسعة تمثل تطورا
 متأخرا نوعا ما في تدوين المسانيد ،
 لذلك سوف نعالج فيما يلى ان شاء
 الله تعالى نماذج ثلاثة من المسانيد
 المبكرة التى تهدف الى تحقيق الهدف
 الأول من تدوين (المسند) ، أعنى
 مسند الطيالسى ، ومسند الحميدى
 ومسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى
 الله عنهم جميعا ، وبالله تعالى
 التوفيق .



-
- (١) « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبي . ص ٤٠٢ .
 (٢) « الرسالة المستطرفة » لمحمد بن جعفر الكاظمي (دمشق ١٩٦٤) ص ٦٢ .
 (٣) « تاريخ التراث العربى » (الجزء الأول) ص ٢٧١ .
 (٤) « تذكرة الحفاظ » ، ص ٥٧٧ .
 (٥) نفس المرجع .
 (٦) المرجع السابق ص ٩٥٥ و ٩٥٦ .



وشا وشم في الأمر

للككتور
احمد الصوفي

فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير
وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ،
واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ،
وأمرهم شورى بينهم وبما رزقناهم
ينفقون . والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون (١) .
وأمر الله تعالى رسوله الكريم أن
يستشير المسلمين — فيما لم ينزل
عليه وحى فيه — ليستظهر براءتهم
وليطيّب نفوسهم ، ويرفع من اقدارهم
وليربيهم التربية التي تكفل لهم صلاح

من خصائص الاسلام ان قدر المعتل
وحصن التفكير ، وكفل للفرد حرية
الرأى ما لم تعارض أصلا من أصول
العقيدة أو العبادة .
فكان من الطبيعي أن يستن الشورى ،
لأنها الوسيلة الى استبانة الآراء
وتمحيصها ، والاهتداء الى خيرها .
لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى ،
وقرنها بالايمان والاعتقاد على الله
تعالى ، وبالبعد عن الآثام ، وبإقامة
الصلاة ، وبالاتفاق في سبيل الله
وبالجهاد لاعزاز الحق واعلاء كلمة
الله ، قال تعالى (فما أوتيتم من شيء

امورهم من بعده ، وجاء هذا الأمر عقب وصف النبي عليه الصلاة والسلام باللين والرحمة والتواضع وطيب العشرة ، وهى نعم خلقية انعم الله بها عليه ، وعقب أن نفى عنه تعالى الغلظة والقسوة والاستبداد والبطرسة ، وهى ردائل براه الله منها ، ولو انه كان على شئ منها لنفر منه المسلمون ، وانفضوا من حوله ، فالأمر بالاستشارة فى هذا السياق يدل على أنها موصولة بكمال الأخلاق قال تعالى (فيها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (٢)

اى اذا قطعت الراى على شئ بعد الشورى فاعتد على الله فى الخى الى ما اعتزمت عليه مطمئنا الى انه الارشد الاصلح ، وان كان الله وحده هو الذى يعلم الارشاد والاصح ، ولست تعلمه أنت ولا من تشاورهم ، ولقد صدع رسول اللبأمر ربه ، فكان يستشير صحابته ، وكانوا هم يستشيرون بعد أن اختاره الله ، ولم يكن لهم من أرب الا تحرى الخير والصواب وصالح الأمة ، حتى أن عمر ابن الخطاب احتجز بعض الصحابة فى المدينة فمنعهم أن يغادروها الى بلد آخر ، لأنه محتاج الى استشارتهم .

وكان المسلمون فى عهد النبي والخلفاء الراشدين مطمئنين الى حرية آرائهم فإذا استشيروا اشاروا بما يعتقدون انه الحق ولم يحجبوا عن اعلان آرائهم وان خالفت رأى النبي او أحد خلفائه .

ولقد تعددت مظاهر الشورى فى عصر النبي وخلفائه الاربعة فكثيرا

ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما لم ينزل به وحى وتخييرا ما كان يعمل بمشورتهم ويعمل عن رايه ، ولهذا قالت السيدة عائشة ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله . (٣)

وعن أبى هريرة — ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله (٤) وحسبنا أن نسوق الامثلة الآتية : —

١ — قبيل موقعة بدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من بدر فقال الحباب بن المنذر — يا رسول الله ، أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟ قال رسول الله بل هو الراى والحرب والمكيدة .

قال الحباب — يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله لقد اشرت بالراى وانهض رسول الله ومن معه فصار حتى اذا اتى أقرب ماء الى القوم نزل عليه ثم أمر بالآبار فردمت وبنى حوضا على البئر التى نزل عليها فملئت ماء . (٥)

٢ — فى يوم بدر أسر المسلمون سبعين رجلا ، فقال رسول الله ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر يا رسول الله ، هؤلاء بنو النعم والعشيرة والأخوان ، وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قسوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا .

فقال رسول الله ما ترى يا ابن الحطاب ؟

فقال عمر - يا رسول الله خذوك وأخرجوك ، وهم صناديد الخصاس وقادهم ، فإني إن ضربت أعناقهم .
وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فاحلهم فيه ، ثم أضرمه نارا عليهم .

فمسكت رسول الله ، ولم يجبه ثم دخل ، فقال ناس ، يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس ، يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج رسول الله ، فقال ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم في قوله : فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانه كفور رحيم (٦) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى في قوله : « ان تعذبهم فاني عبادك ، وان تغفر لهم فاني انك العزیز الحكيم (٧) ومثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تسخر على الأرض من الكافرين ديارا (٨) ومثلك يا ابن رواحة كم مثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم (٩) .

ثم قال رسول الله - أنتم اليوم مالة ، فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق .

فلما كان الغد أتزل الله عز وجل (ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (١٠) ثم أحلت لهم الغنائم (١١) .

٣ - لما علم أن قريشا متجهة الى

المدينة في عزوه احد قال لاصحابه امضوا فان دخل القوم المدينة فاسلمهم او رميهم من فوق البيوت ، لانه كان يحذر الخروج الى المشركين لقناتهم في البراح وهم ختره والمسلمون قلته ويؤبر محاربتهم بالمدينة نفسها حتى تستطيع القلة ان تبلى اليأساء المنشود .

ولكن هذا الرأي لم يرق المسلمين الذين اسفوا على ما فاتهم من جهاد في غزوة بدر ، وفيهم رجال وشبان يحبون لقاء العدو ، ويستاقون إلى الاستشهاد ، فقالوا يا رسول الله اننا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا حتى لا يظنوا بنا جبناء او ضعفا .

فقال عبد الله بن أبي بن سلول يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا اصابوا منا ولا دخلوها علينا الا اصبنا منهم فدهمهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورمتهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين .
فقال الراغبون في الخروج إننا نخشى يا رسول الله أن يظن أعداؤنا أننا كرهنا الخروج اليهم خوفا منهم فيتجرؤا علينا .

حينئذ استجاب رسول الله لرأي الاكثرين وعدل عن رأيه وخرج للملاقاة قريش (١٢) .

وهنا عبر جديرة بأن تنتبه اليها فان رسول الله حينها وجد الكثرة تريد الخروج دخل بيته فليس لامته وتقلد سيفه ثم خرج اليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فامتع فقال ما ينبغي لنبي لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل ويحكم

الله بينه وبين عدوه .

وهنا تتجلى ضروب من الشجاعة وبعد النظر اولها تدبير الخطيئة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش وايتار ان يبقى المسلمون في مدينتهم ليردوا العدو المهاجم وهم اوفر منه قوة واعز حصانة واقدر على لقائه وان كانوا اقل منه عددا وعده ولا تثريب على قائد في ان يقف مثل هذا الموقف لان الشجاعة تقتضى الهجوم تارة ، وتقتضى الارتداد تارة ، وتكون في المبادرة حيناً ، وتكون في التريث حيناً آخر .

وثانيها الاستجابة لحباسة الكثرة التي آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجدوة متقدة والعزيمة ملتبة ، والنفوس متلهفة الى الاستشهاد في الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كسالت هذه الحماسة عرضة لان يخذلها البقاء واختلاف الآراء .

وثالثها مضاء النبي في عزمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد ان اعد عدته وليس لامته واصرارها على الا يضعها حتى يقاتل اعداء الله فانه بهذا الاصرار اذكى شجاعة الصحابة جميعاً ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم جميعاً يقودهم الى لقاء الاعداء .

٤ - في غزوة الاحزاب اجتمعت قريش ومن والاها من العرب واليهود وعسكروا حول المدينة بضعا وعشرين ليلة ونقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله فمظلم البلاء ، واشتد الخوف واتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم ، حتى ظن بعض المسلمين كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، فاراد رسول

الله ان يصلح قائدي غطفان على ان يرجعا عن المدينة ، ولهما ثلث ثمارها ، فبعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيها اراد ، فقالا - يا رسول الله اهذا امر تحببه فنصنعه ام شيء امرك الله به لا يد لنا من ان نعمله ، ام شيء تصنعه لنا ؟

قال رسول الله بل شيء اصنعه لكم ، اني رايت العرب قد رمتكم من قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم .

فقال سعد بن معاذ - يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الاوثان ولا نعبد الله ولا نعرمه ، وهم لا يطعمون ان ياكلوا منا ثمرة الا يبعثوا قري ، امحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وعزنا بك نعطهم اموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله ، فانت وذاك (١٣) ثم شاء الله ان يرتد المفسرون مذعورين مختلفين وان تسلم المدينة . ه - ولم يكتب رسول الله بتقرير الشورى وتدريب المسلمين عليها باعماله بل اضاف الى هذا كثيرا من اقواله التي تحببها اليهم وتزينها في قلوبهم ، مثل قوله : -

استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتتدبوا . وقوله المستشار مؤتمن ، اذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . وقوله - من اراد امرا فشاور فيه امرا مسلما وفقه الله لارشده اموره .

وقوله - من اشار على اخيه بشيء يعلم ان الرشد في غيره فقد خانته . وقوله - لن يهلك امرؤ بعد مشورة (١٤) .

٦ - ثم كان خلفاؤه الراشدون

يهددون بسفنته ، فهذا أبو بكر الصديق يستشير الصحابة في أمر المرندين فيشير عليه بعضهم ان يتمهل حتى يعود جيش أسامة فيقتلهم بضرورة المبادرة إلى حربهم لانهم أعضاء في الدولة تزدوا عليها . وخرجوا على الدين الذي ارتضوه ، وإلها لهم يجرتهم ويجريء غيرهم على المعصية والفساد ، وتكشف الأحداث عن صواب رأى أبى بكر وينتصر الإسلام والمسلمون .

وحينما فتح المسلمون العراق والجزيرة والشام في عهد عمر بن الخطاب نشأ خلاف في تقسيم الأرض على الفاتحين أو بقائها في أيدي أصحابها يزرعونها ويؤدون للدولة خراجها .

وكان من رأى عمر وبعض الصحابة ان تبقى الأرض في أيدي أصحابها ملكاً للدولة وعليهم خراجها ناظرًا إلى ان تقسيمها على الفاتحين نوع من الاتطاع ومراعى مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيها بعد ومشفقا على الخزانة العامة ان تحتاج في المستقبل فلا تجد .

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قد يغضب المحاربين الفاتحين الطامعين في امتلاك الأرض التي غلبوا عليها

بسيوفهم وحسبوا غنيمة لهم . وقد فصل أبو يوسف وأبو عبيد (١٥) ما دار من مشاورة في هذا وذكرنا ان عمر قال - فكيف بمن يسأني من المسلمين فيجدون الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت في حوزة الوارثين ؟ إن هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف - فما الرأى ؟ ليست الأرض بما أفاء الله عليهم ؟ قال عمر - فإذا قسمت أرض العراق وأرض الشام فمن أين تسد الثغور . ؟ وماذا يكون للجزيرة والأرامل بالحجاز والشام والعراق ؟ ثم قال - والله ما أريد إلا الحق وقد رأيت أن أترك الأرض لزارعها ، وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون الأرض فيئسا للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتي بعدهم .

أرايتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . أرايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها ان تشحن بالجيوش وأدار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرض ؟ فوافقوا عمر على رأيه .

هكذا أمر القرآن الكريم بالشورى وهكذا حققها رسول الله والرجال الذين رباهم رسول الله .

- (١٠) سورة الأنفال ٦٧ ، ٦٨ .
- (١١) تاريخ الطبرى ٢/٢٩٤ .
- (١٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للسطلاني ٢/٢٢٢ .
- (١٣) تاريخ الطبرى ٢/٤٨٨ .
- (١٤) الأحاديث من كثر العمل في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندى ٢/٨٤٢ والبيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٠ .
- (١٥) الخراج ٢٧ لأبى يوسف والأموال ٤٠ لأبى عبيد .

- (١) سورة الشورى ٢٦ - ٢٩ .
- (٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
- (٣) السيرة النبوية ٢٧٧ .
- (٤) الكشف للزمخشري ١/٢٢٦ .
- (٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٢ .
- (٦) وتاريخ الطبرى ٢/١٧٧ .
- (٧) سورة إبراهيم ٣٦ .
- (٨) سورة المائدة ١١٨ .
- (٩) سورة نوح ٢٦ .
- (١٠) سورة يونس ٨٨ .

النافذة مائدة الفارسي

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» .
توآن كريم

الحكمة في النصيحة :

مر أبو الدرداء على رجل أصاب
ذنبا والناس يسبونهُ ، فقال لهم ،
أرايتم لو كان في بئر اكنتم مستخرجيه
قالوا نعم .
قال فاستغفروا لأخيكم واحمدوا
الله الذي عافاكم .
فقالوا : افلا تبغضه .
قال : انما أبغض عمله ، فإذا
تركه فهو أخى .

الجار قبل الدار :

قيل لأحد العلماء هل تجد نسي
القرآن خذ الجار قبل الدار ، قال :
نعم يقول الله تبارك وتعالى في سورة
التحريم (وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امراة فرعون اذ قالت رب ابن لى
عندك بيتا فى الجنة) فأنت تراها فى
دعائها ربا قد آثرت الجار فقدمت
عندك على الدار .

الحجاج التاجر :

بعث الحجاج بن دينار طعاما الى البصرة مع رجل وامر أن يبيعه يوم
يدخل بصرى يومه فأرسل له الرجل أنى قدمت البصرة ، فوجدت سمر
الطعام قليلا فى السوق فاختزنه حتى زاد السعر وبغته بكذا وكذا فكتب اليه
الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فإذا أتاك كتابى فتصدق
بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة ، وليتنى اتجو من عذاب الله اذا فعلت .

صوت السحاب :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض،
فسمع صوتاً في سحابة : أسقى
حديقته فلان .

فتنحى ذلك السحاب فأنزل ماءه في
حرة (أرض صلبة) . فإذا شرجة
(سيل ماء) من تلك الشرجة قد
استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم فبسي
حديقته يحول الماء بمسحاته (فأسه)

فقال له يا عبد الله : ما اسمك ؟
قال : فلان للأسم الذي سمع مني
السحابة فقال له : يا عبد الله لسم
تسألني عن اسمي ؟

فقال : اني سمعت صوتاً في السحاب
الذي هذا ماؤه يقول : اسقى حديقته
فلان لاسمك ، فما تصنع ؟

فقال : أما إذ قلت هذا فيني انظر الى
ما يخرج منها ، فأتصدق بثقله ، وأكل
أنا و عيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه .

رواه مسلم

الاذان والاقامة :

روى الإمام أحمد وأبو داود بسندهما عن عبد الله بن عبد ربه أنه
قال (طاب لي من الليل طائف وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران ، وفي يده
ناقوس يحمله ، فقلت له يا عبد الله اتببع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟
قلت ندمو به الى الصلاة قال : املاذك على خير من ذلك ؟ فقلت بلى ،
قال تقول الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر وردد عليه الفاظ الاذان
التي يؤذن بها اليوم قال عبد الله بن زيد ثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا
أتمت الصلاة الله أكبر الله أكبر - وردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو
معروف منها الى اليوم .

قال عبد الله بن زيد : فلما أصبحت أتيت رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فأخبرته بما رأيت فقال إنها لرؤيا حق ان شاء الله نعم الى بلال
فلق عليه ما رأيت فانه اندى صوتاً منك فتمت مع بلال فجعلت القية عليه
ويؤذن به .

الاعلام الجديد

للاستاذ احمد الصائغ

وتمسير بها نحو مستقبل أقوى
وأفضل وأحسن ازدهارا .
ومن يراجع تاريخ الصحافة
العربية والمسرح وهما أقدم وسائل
هذا الاعلام العربي يأخرة من القرن
الماضي وبداية هذا القرن ، ثم ينعم
النظر في المؤسسات ومن أسسها .
من أين جاءوا وكيف زرعوا في حقل
الاعلام الأول يجد علامات كثيرة على
طريق ملئوا تأثير الشك وتبعث على
تأمل مشفق حزين . ولست أحب أن
أدخل في التفاصيل ، ولا أن أضرب
حتى مجسرد أمثلة من الاسماء
وأصحابها ، وتاريخ حياة كل منهم فليقد
يجر ذلك على اتهامات شتى بتهم
الطاغية والتفريق وإثارة الفعرات

اكاد أحس باختناق حقيقي حين
يدعوني أمر الى فكر عميق في شأن
الاعلام العربي الى أين يسير بنا ؟
والى أين نسير معه ونحن معصوبو
الاعين ، مخدرو الإحساس .. الى
آية كارثة جديدة أو مستقبل مظلم ؟
الى أي مصير من الانحلال والضياع
والغثيان ؟ الى أي جيل من الأبناء
والأحفاد نزداد لهم أنكارا ويشندون
علينا نكيرا ؟

لقد ولد الاعلام العربي في معظم
حالاته أن لم يكن فيها جميعا بين
أحضان مؤسسات أجنبية ، غريبة
الإرادة والذوق والأهداف عن ذوق
هذه الأمة وأرادتها الحقيقية والأهداف
التي تخدم صالحها وتقبل عثراتها ،



الرايح السيف

الفن ، وهى تهم ما زالت تشهر كالسيف الباتر فى وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقي ويلقاه المسلمون من عنف وكم أفواه واضطهاد حتى فى البلاد التى تدين كثرتها الكثرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الإذاعات الناطقة بالعربية ثم إذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السيئنا قد رسخت جذورها فى مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض فى العالم العربى من حولها فى كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئى أو التلفزة انتشار

الفن ، وهى تهم ما زالت تشهر كالسيف الباتر فى وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقي ويلقاه المسلمون من عنف وكم أفواه واضطهاد حتى فى البلاد التى تدين كثرتها الكثرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الإذاعات الناطقة بالعربية ثم إذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السيئنا قد رسخت جذورها فى مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض فى العالم العربى من حولها فى كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئى أو التلفزة انتشار

عن الطابع العام لساثر وسسائل الاعلام الأخرى .

وبينما تعتمد السينما والتلفزيون على الغالب على الانتاج الأجنبى ولا سيما الأمريكى والأوروبى ، ويتلو ذلك منتجات بيروت والقاهرة تعتمد الصحافة والإذاعة على انتاج وكالات الأنباء الأجنبية والمترجمات والمقتبسات من صحف ومجلات أجنبية وبعض المواد والأخبار المحلية . وإذا استثنينا طائفة محدودة العدد من الصحف والمجلات الأسبوعية ممن تضطلع بدور متناوب ورسالة مختلفة جدا وتصارع من أجل البقاء ، وتعيش على مساعدات وحسن نوايا المحسنين وبعض سخاء المعلنين فإن ساثر من فى الوكب الاعلامى ممن سواهم يفرغون من نبع واحد ، ويفسسون دماغ الأمة بطريقة واحدة ويحتنونها بنفس الخدر .

إن أخطر وسائل الاعلام جميعا فى الوقت الحاضر ، وأبعدها أثرا نسى المستقبل هى التلفزيون ما فى ذلك ريب .

وحين تسائل أيا من المسؤولين عن أجهزة التلفزيون العربية فى موضوع البرامج ونوعياتها وفلسفة تقديمها للناس ، وعن السر فى كبر القطاع الأجنبى المستورد من المواد ، وعن الجنوح الى الهزل دون الجد فأنهم يبتدرونك فوراً بالأجوبة التالية ، يا سيدى الانتاج العربى قليل جدا ، ونحن مضطرون لملء الساعات بالتوفر لنا من هذا الانتاج . أما عن تهاة المحلى القليل ونزعاته المثيرة^٥ للسخرية فهم يجيبون : هذا ما يريده الجمهور ، ونحن مصلحة نخدم الجمهور وتسليه وترفيه عنه . . .

تذكرنى هذه الحجج وأمثالها بحكاية شخص كان مختلط العقل بعض الشيء

راتبه الشهرى لا يتيح له أكثر من فندق متواضع من الدرجة الثالثة فى فسحه الإجازة ولكنه كان يصر على النزول بأضخم فندق يجده حيث يكون ، فيما هو يخرج لبعض الوقت بسدين من هذا ويقتضى من ذلك ليفضى نفقات الفندق الفخم وتساؤلهم « ما الذى يحملكم على البت ثمانى ساعات متواصلة فى اليوم قد تصل الى عشر ساعات وأكثر يوم الجمعة ؟ .. لماذا لا تبثون أربع ساعات مثلا أو ثلاثا ويكون كل ما تبثونه نظيفا ممتعا وان لم يخل من زوايا لتسليية نظيفة أو تمثيلية طريفة . ويجيبك أحدهم كيف أفضل أنا وغيرى لا يفعل واسكت أنا وغيرى بيت ؟ .. وتساؤلهم ما هذا الانتاج المحلى الرخيص . أن من يرى مسلسلاتكم يظن أن الناس هناك لا ينشغلون لعلم ولا لعمل يشغلهم هم سوى الرقص . كل موضوع تطرزونه بهذا الرقص المقلد السميح ، وكل حكاية حتى ولو كانت مأساة تخفون فيها مناسبة للغزل ومقاهى الليل ومعاذرة الخمر فهل هذا هو شغل الملايين الشاغل من الباحثين عن أسباب الحياة فى بلادنا . وهذا الانتاج البيروتى تنبعث منه رائحة المتاجرة الرخيصة بكل شىء من أجل الأليرات . حتى الروايات الأدبية الضعيفة السند يزدونها ضعفا وهلهلة وسخا . يصوغون قصصا عن الصحراء ليرضوا أذواق الناس فى الجزيرة فلا تكون قصصهم صحراوية ولا تظل حضرية ولكنها تخرج فى اطارات سبجة ثقيلة الدم . ويجيبك المسؤولون أنفسهم ماذا نفعل لو لم يكن الناس يحبون ما نقدم لما عاودوا المطالبة به وتقول لهم : أنتم تهيمون الآن على عشرات من محطات البث التلفزيونى وتتصرفون

بموازنا ضخمة خيالية فما الذى فعلتموه فى جهد جماعى للهيئة على المنتجين أو توجيههم ؟ من قال إنهم يستطيعون أن يخالفوا عن إرادتكم لو شئتم ؟ وبكى حاولتم أن تفرضوا عليهم خط سير أو سياسة معينة فلم يجابوا معكم ؟

ولماذا لا تتفقون فيما بينكم على تحديد ساعات البث وفق الممول من الانتاج الجيد وما تصل اليه محده ؟ لماذا لا تبثون جميعا على قسدر ما يسعكم الممكن والمتوفر ثم تأخذون فى الزيادة على مهل وتدرج وعلى هدى وبصيرة .

وهذا الجمهور الذى تلفلون باسمه ما تشامون وتشببون اليه ما تريدون وتزعمون اعتراضه عما أنتم فى الحقيقة عنه معرضون متى استفتيتهم ؟ متى تمتم بدراسات علمية صحيحة لما تحب أكثره وتكره ثم هل أنتم تتفقون أموال الدولة للسير مع ما تزعمونه من رغبات الجمهور حتى لو كان جمهورا مغفلا أو جاهلا محققا ؟ لهذا ترصد أموال الدولة ؟ ليست وسائل الاعلام أيضا هى وسائل تعليم وتنوير وتهذيب ؟ أوليست محطاتكم هى دوائر رسمية تنفق من مال الأمة وليست شركات تجارية كما هو الحال فى كثير من البلدان الأجنبية التى تظلونها إما بلا وعى أو ذوق ، وأما بتوجيه أسود خبيث متكرر ، عرف كيف ينتدب من أبناء الأمم من يعينونه على غسل دماغ شعوبهم كما يريدون .

نحن نفهم أن تشتروا لنا ما وسعكم الشراء من أفلام علمية لا سيما من مثل هذا الانتاج الأوروبى الذى يشرح الأحوال حتى فى قيعان البحار والمحيطات ، والأدغال والغابات ، أو يأخذ المشاهد فى رحلات سياحية

عبر الراين أو على شلالات نياجارا ، ونفهم عن هذا القصص التاريخى الفرنسى الجميل ، ونفهم عن هذه الأفلام التى تفتح آفاقا جديدة لمطامح الإنسان للوصول الى الكواكب والتعامل مع الحياة فيها .. لكننا لا نستطيع أن نذوق تلك الأفلام الدعائية فى تبرير اجتثاث الهنود الحمر من أمريكا .. ولكن عفوا ، لعلكم تريدون سلوتنا نحن الذين اقتلعنا من فلسطين بمشاهدة ما أصاب الهنود الحمر من قبلنا .. ومع ذلك فالهنود الحمر على رأى أفلامكم كانوا أهابا ومعشرين شرسين فحققت عليهم لعنة الرجل الأبيض فاجتثهم من أرض آبائهم وأجدادهم ، كما لسننا نفهم أيضا هذه السهرات من الغناء والفنون الأجنبية التى تتبرعون لإعادة تقديمها لنا ، ولا نفهم هذه السلاسل المتلاحقة عن الجريمة والمخدرات والجنس والفوضى الفائرة التى على غرارها ولا نفهم هذا الكرتون من ادب الأطفال الذى يصب علينا صبا هكذا بلا ترجمة ولا إعادة تحرير .

ما شأننا نحن بسرقات البنوك الكبرى ، وبكاثم المصيفين فى مونت كارلو ، وببؤامرات العصابات المحترقة فى هونغ كونغ .

وفى ليلة الجمعة .. ليلة التقرب الى الله من كل أسبوع تسرقون منا الشباب والأطفال لسهرات تدوم معكم الى ساعة التهويم بالنوم فى آخره من الليل ليكونوا أبعد ما يكون الناس عن ذكر ربهم بل أنتم تلاحقونهم بعد نهوض متأخر من اليوم فى غد الغالى حتى تضمّنوا انصراف يوم الجمعة فى كل شيء الا مرضاة الله تعالى .

ونحن نعلم بأسف بالغ وانفس حزينة أنكم تستفتحون ببعض آى من الذكر الحكيم ، وتبثون بعض آى من

يسمونها أو موضبة بغير مهل نسي
القاهرة .

وماذا عن السينما ومراقبة الافلام
السينمائية .. يخيّل الى المرء أحيانا
أن لجان مراقبة الاشرطة
والافلام في العالم العربي من النوع
الذين الذين ليسر المسامح . ولقد
علمت أن بعض اصحاب دور العرض
ممن لا يرتوى لهم جشع في مكاسب
الافلام الخلية ، يتدرون لجنة
المراقبة في بلادهم بصينية من افخر
الكثافة ، أو أكلة دسمة ينيلونها اياهم
فيما يدور الفيلم الذي يريدون تغطية
أعينهم عنه . أن حكاية المرخص
بعرضه من الافلام حكاية حزينة ،
ومنجعة وهي لا تقل إيلاما عن صور
المرى والتجرد في المجلات الوقحة
التي تعيش على الهلب المشاعسر
الجنسية بالصور الداعرة ..

أن الفتى العربي المسلم لفسريب
الوجه واليد واللسان في مدينة
الاعلام العجبية التي لا يمكن أن يرتقى
الى رتب النواظير فيها الا طراز معين
من الناس يوضع بينهم للتعمية رجل
أو اثنان في كل حالة ممن
صلحت اخلاقهم ليكونا
بمثابة التعويذة على جسم متهاك
ولقد يقولون لك محتجين تعال أنت
يا « شاطر » واقترح علينا ما ننبه
به برامج الاذاعة والتلفزيون ، أو
نشن به صفحات المجلات ، كأنها هم
لا يعلمون أننا لو ربطنا تلك البرامج
بالقطاعات التربوية والانتاجية
والمعاهد والمؤسسات الجادة لم يظل
صعبا أن تحصل على برامج هادفة ..
ولو عرف سائر المنتجين الفنيين أن
الفناء غير مقبول الا أن يكون مما
يثير النخوة والرجولة والتسامي
ويعكس اشرف عواطف الامة والنبل
الحى لقلوب أبنائها الشرفاء والمنتجين

الاذاعة ، والله يشهد أن هذا منكم
ومن برامجكم بعامة يدعسو الى
الاشمزاز والكراهية . انه صورة
من صور الايجابية المعازمة المستنيرة
التي سنفا دهافة الاعلام الاجانب في
تخدير العالم الاسلامي كله لبنشاء
جسور من الثقة بين الوسائل
الاعلامية وقطاعات كبيرة من الناس
ليتها لها وضع اشد السموم اذى
تحت ذلك الدسم القليل الطائش على
سطوح الكؤوس .

ذلك غيض من مفيض عن التلفزيون
فماذا عن الاذاعة ؟

تقدم لك الاذاعات في معظم
الحالات لمنتصف الليل حديث الليل
أو همس الليل .. ولقد يدوم هذا
البرنامج في غير اذاعة واحدة حوالى
الساعة من الزمن فما هو نجوى
القلوب وهمس الليل عندهم ؟ كلام
من غرام فاضح كما يكون بين الخلاء
.. شذرات موسيقى راقصة اجنبية
.. عبارات يؤديها صوت أنثوى
متكسر ، وكلام يتوارى منه الحياء ،
وينتحر على عباراته الشرف والمروءة
.. ثم قد يختبئون بماذا ؟ بأى من
القرآن الكريم قبل أن يعلن ختام
شوط طويل امتد من بعد الفجر الى
منتصف الليل وشمل ما لا يقل عن
خمس ساعات من الاغاني معظمها
لمغنيات عرفن بالماضى الرقيق .. أما
كلمات الاغاني فهي لا تتغير ولا
تتبدل في فحواها عن الحرقه للوصال
وشجو البين والاهوال وبكاء الفتاة
على الفتى الاسمر ، والحيرة بين
الابيض والاسمر .. أما البرامج
الخاصة فأنت تستطيع أن تستغنى
عن معظمها بقراءة ما يكتب على
الروزناما ، وأما التمثيليات
والمسلسلات فمعظمها مسروق على
عجل في مطابخ بيروت الفنية كما

وتقربوا الى اجهزة الدولة بما ترضى
عنه وتسيغه .

اهى وسائط اعلام وتربية ، وترقية
ذوق ، ودفع لمجلات التقدم والعمران
وتواصل قطع الامة الممزقة المشتتة ،
ام هى وسائط تسلية رخيصة
وتخدير ؟

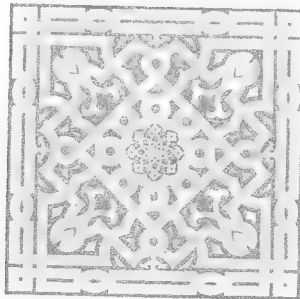
اهى اجهزة بوكلة بغسل دماغ
الامة وجرها الى التبعية الفكرية
والفنية ، والسلوك المقلد الذليل ؟
اهى مراكز لتصرف الانتاجات
البائرة او غير البائرة ؟ اهى موجودة
لذوق طائفة او جعاعة من الامة دون
سائر الامة ؟

ما هى وسائل الاعلام العربى
المعاصرة ؟ اننى شخصيا لست ادرى
واذا كنت ادرى شيئا فهو انها تعيش
فى انفصال وغربة عن هذه الامة
وصالحها ..

ذلك ما أنا ادرية .. ولعللى لا اكون
إلا مخطئا .. فان ذلك ليس مدنى
تماما . ومعذرة الى الاعلاميين
المخططين منهم والمنفذين فى عالمنا
العربى .

لاتجه كل الغناء لالحن شعبية هادفة ،
او مصورة للطبيعة ومناتن الخلق
الإلهى وحديث القلوب المלאى بالرجولة
والشجاعة والمثل العليا .

لو قال المسئولون عن البرامج لا
نقبل الأغنية إلا أن تصور معاناة
العامل وكدحه فى مصنعه ، والفلاح
ومجالدته فى أرضه ، والمغترب الى
المهاجر وأشواقه الى وطنه ، والنازح
من فلسطين وصوت الحنين فى
صدره ، والبحار وجهده على ظهر
السفينة فى الايام العاصفة او غير
العاصفة . أغان للمرأة التى تحترف
خياطة الملابس لتربى أيتامها ،
للطالب القروى الذى يسير اميالا
ماشيا كل يوم ليستكمل فى المدينة
دراسته ، للشائر المناضل فى طرق
الموت على قمم الجليل او فى تيمعان
الأغوار . أغان عن كحاح هذه الامة
وقصص عذابها وغصصها مع
الاستعمار الى آخر ذلك ، اتول لو
عرف سائر المنتجين والمؤلفين
والملحنين ذلك وعرفوا الجد فيه من
المسئولين لغيروا اتجاهاتهم ووسائلهم



بين القوة والضعف

الدكتور احمد الشرباصي

وقد نتساءل في هذا الباب — على سبيل المثال — فنقول : بم أهلك الله الجبابرة الطغاة الكافرين من أهل سبا ، حينما وهبهم جنتين عن يمين وشمال ، وقال لهم : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور » . ولكنهم طغوا بكبرهم ، وتباهوا بقوتهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ : « لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فأنزلنا عليهم سيل العرم «أي المطر الشديد» وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل

من الإتوال الماثورة : « ان الله قد يضع سره في أضعف خلقه » .
والمثل العربي يقول : « ان لله جنودا منها العسل » .
وخير من هذا وأجمل قول الحق جل جلاله ، « ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما » .
وقوله سبحانه : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .
وفي ضوء هذه الكلمات المضيئة نفهم أن الضعف قد ينطوي على قوة مستورة تؤيدها عناية الله تبارك وتعالى ، فإذا قوة الضعف تهدد الجبال ، وتحير الالباب .

خبط وأثل وشيء من سدر قليل ،
ذلك جزيناهم بما كسروا ، وهل نجازي
إلا الكفور .

فكان المطر — وهو قطرات ماء رقيق
سائل — سبب الهلاك والدمار ،
وجعل الله عز شأنه من الأشياء
الضعيف الرقيق المنساب قوة قوية
مدمرة لأهل البغي والطفيان .

وحينما جاء أبرهة الأشرم يتحدى
يرغى ويزيد مهددا بجبروته وجنوده
العرب ، منذرا بهدم الكعبة ، ومعسه
الفيلة الضخمة الفليضة التي لا تعرفها
العرب ولم تالها ، حتى خاف أهل
مكة فتركوها واعتصموا بالجبال
والشعاب ، أظهر الله قوة في الضعف
وجعل السبب الضعيف الضئيل سببا
وسالحا للقضاء على الجيش العرمم
الجرار ، ولم يرسل الله لإهلاك
الفيلة حيوانات ضخمة مثلها ، ولا ما
يقاربها ، بل أرسل عليها الطير
الإبابل .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب
الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ،
وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم
بججارة من سجيل ، فجعلهم كعصف
ماكول » أي كتبت أكلته الدواب
وتطايرت بقاياها .

وهذا (لوط) عليه السلام ،
يتعرض لموقف الضعف والشدة ،
حيث يهجم عليه اللثام الفاسقون من
قومه ، يريدون الاعتداء الوضع على
ضيوفه من ملائكة الرحمن ، ويتطلع
لوط ، يبحث عن ناصر أو معين ، فيجد
كل اللثام يتفون ضده فيقول كأنه
يرجو اغاثة ونجدة « قال لو أن لى بكم
قوة أو آوى إلى ركن شديد » .

وجاء الجواب من ملائكة الرحمن
« قالوا : يا لوط أنا رسل ربك ، لن
يصلوا إليك » واختار الله تعالى أن
يكون تدميره لهؤلاء ولوطنهم بقطع من
الحجارة الصغيرة المطبوخة بالنار ،

وهي حجارة متتابعة مسومة ، أي
معلبة للعذاب فتجلت منها القوة :
قوة الضعف « فلما جاء أمرنا جعلنا
عليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة
من سجيل منضود ، مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببيميد » ،
« فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا
عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة
من سجيل ، أن في ذلك لآيات
للمتوسمين ، وأنها لبسبيل مقيم ، أن
في ذلك لآية للمؤمنين » .

وأمر « عاد » قوم هود غير بعيد من
أمر قوم لوط ، فإذا كان هلال قوم
لوط قد تم بقطع صغيرة متوالية من
الحجارة ، فقد تم إهلاك عاد بالهواء
بالريح العاصف « وأما عاد فأهلكوا
بريح صرصر عاتية » « لها صوت من
شدتها » سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية أيام حسوما (مشنومات)
فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز
نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية »
وأمر قوم نوح غير بعيد من أمر عاد
فقد هلك قوم نوح بالماء « فكنبوه
فأنجيناه والذين معه في الفلك ،
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، أنهم
كاثروا قوما عمين » .

وأمر فرعون وقومه غير بعيد من
أمر قوم نوح ، فقد أغرق الله الطاغية
بالماء ومعه أتباعه « فأنقمنا منهم
فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين » « فأنقمهم
فرعون بجنوده ، فقتلهم من اليم ما
قتلهم ، وأضل فرعون قومه وما
هدى » .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة
والسلام ، يخلق له ربه من الضعف
قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الفقر
غنى وثراء « ألم يجعل يتيما فأوى ،
ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عاقلا
فأغنى » ؟ .

**تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى ، وكلمة الله هى العليا ،
والله عزيز حكيم » .**

وتأتى غزوة بدر الكبرى ، ويخرج
نحو ثلاثمائة من المؤمنين ليلاؤا نحو
الف من الكافرين ، ويشاهد الرسول
فقر المسلمين وضعفهم وجوعهم
وقتلهم ، فيدعوا ربه قائلا عنهم « اللهم
انهم حفاة فاحبلهم ، اللهم انهم جياع
فاطعمهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم ،
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
فى الأرض » .

ويستجيب تيوم السموات والارض
لرجاء الرسول صلوات الله وسلامه
عليه فيخلق من الضعف قوة ومن
القلة كثرة ، ومن الجوع شبعاً ، فإذا
الضعاف ينتصرون على الأشداء
« ولقد نصركم الله بيدروائتم اذلة » ،
— واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون
فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم
الناس فأواكم وأيدكم بنصره ، ووزقكم
من الطيات لعلكم تشكرون » .

وهذا هو المكشوف يفقد بصره
وفقدان البصر لون من النقص ، ولكن
الله جل جلاله يجعل من هذا الضعف
قوة فيعوض صاحبه ما يجعله فى
حصانة وبراعة ، وكفى فى المكشوفين
من عبقریات تجلت فادهشت ولو
رجعنا الى كتاب « فى عالم
المكشوفين » .

لرأينا العجائب بعد العجائب فى
هذا المجال ، وهذا هو « أحمد
شوقى » يخاطب سلطان مصر منذ
عشرات من السنين ، فى شأن
المكشوفين فى الأزهر الشريف ، فيقول
له كالموجه المرشد :

**نظرا واحسانا الى عمياتنا
وكن المسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدري لعل كفيفهم
يوما يكون ابا الملاء البصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا ، وجل المشتري والمشتري**

لقد كان فردا نصار امة ، وكان
أما تعلم الملايين ، وكان قليل المال
نصار بالله أغنى الأغنياء ، وما زال
صلوات الله وسلامه عليه ، يلتبس
الفنى فى الفقر والقوة فى الضعف ،
حتى أوتى من عزيمته وعزمه ، ما
زعزع به أركان الأكاسرة والقيصرة
« وكان فضل الله عليك عظيما » .

ولعل الله تبارك وتعالى قد أشار
الى قوة الضعف ، حين اختار
الحماة الاليفة الضعيفة — كما تقول
بعض روايات السيرة — لتكون
حارسة على باب الغار الذى لجأ اليه
الرسول حين اختفى عن عيون
المشركين ، وهو فى طريقه مهاجرا
من مكة الى المدينة ، كما اختار
العنكبوت — ان صحت الرواية —
ليكون معوانا للحماة فى هذه
الحراسة ، وكانت الحماة الرقيقة
النجيلة ، مع خيوط العنكبوت الهشة
الوانية ، سببا فى تعمية المشركين
حتى لا ييصلوا الرسول وصاحبه حين
اختفيا فى الغار .

وفى داخل الغار كان هناك مشهد
اروع وأمتع لقوة الضعف ، فهذا أبو
بكر رضى الله عنه ، يخاف على
الرسول صلى الله عليه وسلم من
سفه الشرك وبغى المشركين ، ويقول :
يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى
موضع قدميه لرأنا ، فإذا القوة
العارمة المؤنة ، تتجلى من الرسول
فى موقف الشدة والضعف ، « فيقول
يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله
ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن أن الله
معنا » .

ويؤيد صوت السماء رجاء النبوة ،
فيُنزل قول الحق « إلا تنصروه فقد
نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول
صاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل
الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم

المسرفين ، والذي تأله فى الأرض ،
 « فكتب وعصى ، ثم ادبر يسمى ،
 فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى »
 فماذا كانت العقابة ؟ تحول الناله ذلا ،
 وانقلبت القوة ضعفا ، « فآخذ الله
 نكال الآخرة والأولى ، أن فى ذلك لعبرة
 لمن يخشى » . ولم يستطع فرعون
 الطاغية ومن وراءه أشداء قومه أن
 يدفعوا عن أنفسهم الأذى ، حتى ولو
 كان فى صورة أرق الأشياء وهو
 الماء .

وهذا هو « قارون » المفسر
 بنفسه ، المهور بقوته فى الحياة ،
 وكثرة ثروته بين الناس « أن قارون
 كان من قوم موسى فبى عليهم
 وآتيناه من الكنوز ، ما أن مفاتحه لتتوءم
 بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه
 لا تفرح أن الله لا يحب الفرحين » .
 وجاءته الوعظة العادلة الفاضلة
 الهادية الى خيرة العاجلة والآجلة
 « وابغ فيما آتاك الله الدار الآخرة
 ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن
 كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد
 فى الأرض أن الله لا يحب
 المفسدين » .

ولكن قارون لم يسمع ولم
 يستجب ، فهو غارق هناك فى أمواج
 خيالاته ، وطوفان كبريائه فهو يتباهى
 بقوته وعلمه ويفتر بثروته وماله ويظن
 أنه بهذا يستعصم على الضعف ويتأبى
 على الانكسار ناسيا أن الله جل جلاله
 قادر على أن يبطش به كما بطش بمن
 هو أقوى منه واطفى « قال أنما
 أوتيته على علم عندى ، أولم يعلم أن
 الله قد اهلك من قبله من القرون من
 هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا
 يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج
 على قومه فى زينته ، قال الذين
 يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما
 أوتى قارون أنه لذى حظ عظيم . وقال
 الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير

وليس هذا الحديث الذى تقدم عن
 « قوة الضعف » دعوة الى الرضى
 بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو
 دعوة الى استشعار القوة حتى نسى
 حالة الضعف ، دعوة الى التدنسر
 بالرجاء والامل ، حتى فى مواطن
 الشدة والبأس ، ودعوة الى بذل
 الجهد فى أى حالة ، وعلى أى وضع ،
 ودعوة الى اليقين بأن الله تآدر على
 أن يجعل من الضعف قوة بما دام
 الانسان يجاهد بقدر ما يستطيع
 « واعدوا لهم ما أستطعن من قوة » .

• • • • •

وإذا كنا قد حدثنا عن « قوة
 الضعف » فلنتحدث عن « ضعف
 القوة » ، وإذا كنا قد رأينا أن
 الضعف قد ينطوى على قوة مستورة
 تؤيدها عناية الله ، وضربنا على ذلك
 الأمثال ماننا نستطيع أن نرى كيف
 تتدأى القوة القائمة على غير
 أساس سليم ، أو على مبدأ قويم ،
 ماذا هى تتحطم وتنهار « والله غالب
 على أمره ، ولكن أكثر الناس لا
 يعلمون » .

وهذا مثلا هو « الشيطان » ، وهو
 القوة الممثلة للشر والاثم والانحراف
 انه يختال بجنوده ، ويفتر باتباعه ،
 ويزهو بمكره وكيدته ، ولكن هذا
 الطغيان يصبح أمام الايمان واهيا
 ضعيفا ، والله جل جلاله هو الذى يقرر
 ذلك ، فيقول « الذين آمنوا يقاتلون
 فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون
 فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء
 الشيطان ، إن كيد الشيطان كان
 ضعيفا » .

وهذا هو فرعون ، الذى طغى
 وبغى ، وكان فى الأرض عاليا من

لن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا
الصابرون » .

فماذا كان المصير ؟
انقلب المزدن والسمى فقرا ،
والقوة ضعفا « حسمت به ويداره
الارض ، فما كان له من فته يصرويه
من دون الله ، وما كان من المنصرين .
واصبح الذين آمنوا مخاصه بالامس
يقولون ويكان الله ييسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويعذر ، لولا ان من
الله علينا لخسف بنا ، ويكاسه لا
يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة
نحملها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا ، والعاقبة
للمتقين » .

الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون .
ثم نكسوا على رؤوسهم لعد علمت ما
هؤلاء ينطقون . هل امنعون من دون
الله ما لا يمتعكم تنيئا ولا يضركم ،
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا الهكم
ان كنتم فاعلين » .

فماذا كان صنع الله القوى المتين ؟
جعل الشدة هوانا واحال القوة
ضعفا ، ومن خلال النار المحرقة
المملكة بعث الله السلام والنجاة
« قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم . وارادوا به كيذا فجعلناهم
الاخسرين » .

وهذا هو « النمرود بن كنعان » ،
الملك الجبار المتمرّد ، الذي ادعى
الربوبية وحاج ابراهيم في ربه وقال
في شأنه القرآن الكريم « ألم تر الى
الذي حاج ابراهيم في ربه ، ان اتاه
الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى
يحى ويميت ، قال أنا احى واميت قال
ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من
المشرق فأت بها من المغرب فبهت
الذى كفر والله لا يهدى القوم
الظالمين » .

فماذا يصنع القدر مع ذلك الذى
بغى وطغى ، وتجبر وعتا ، وأثر
الحياة الدنيا واغتر لانه أحد الأريمة
الذين قالوا إنهم ملكو العالم وهم
ذو القرنين وسليمان والنمرود ،
ويختصر !!

اختار الله لإهلاكه وإهلاك
جنوده حفرة ضعيفة ضئيلة هزيلة ،
هى البعوضة يقول التاريخ « فارسل
الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم
يروا عين الشمس فسلطها الله عليهم
فأكلت لحومهم وشربت دماءهم
وتركتهم عظاما بالية » ودخلت
بعوضة أنف النمرود ، فغذبه الله

وهؤلاء هم قوم ابراهيم عليه
السلام ، يسرفون على انفسهم وعلى
الناس فيسعون فى الأرض فسادا
ويمعدون من دون الله عز شأنه ما لا
ينفعهم ولا يضرهم ولا يجيهم النصح
والتوجيه شيئا ويمطيم نبي الله
ابراهيم حربا بليغا في أن الأصنام
لا تدفع عن نفسها شرا ، فكيف تدفع
قليل أو كثيرا عن غيرها وهنا يثور
الأتواء الأشداء السفهاء لكرامتهم
المهزومة وعزتهم المزعومة ،
ويجتمعون في طغيان وبهتان ويقررون
أن يعصفوا بالنبي الوحيد الفريد
الأعزل ويختارون للخسف به أنسى
أنواع العذاب وهو الاحراق بالنار ،
جزاء له على تحطيه أصنامهم
وسخريته بضلالم :

« فجعلهم جذا إذا الا كبيرا لهم لعلهم
اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا
بالهتنا انه لن الظالمين . قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا
فاتوا به على عين الناس لعلهم
يشهدون . قالوا انت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا

بها ، وجعل يضرب رأسه بالمطارق
لكي تموت البعوضة أو تخرج من أنفه
ولكنها ظلمت تخفيته العذاب الوانا حتى
مات الجبار ذو الأسباب ميتة الكلاب
وما أضعف قوة المخلوق أمام
سلطان الخالق « **إلا له الخلق والأمر**
تبارك الله رب العالمين » .

وهؤلاء هم أهل الكفر والضلال
يعدون في الدنيا بالملايين بعد الملايين
وعندهم طاقاتهم وقدراتهم ولديهم
أموالهم وثروتهم ولهم جبروتهم وقد
كفروا بربهم ، وتمردوا على خالقهم
وعبدوا من دونه ما عبدوا من أصنام
وأوثان ولكن الله جل جلاله يذل
اغترارهم ويحطم قوتهم ويتحداهم
أن يسخرها كل أسبابهم لايجاد
حشرة ضعيفة هزيلة « **يا أيها الناس**
ضرب مثل فاستمعوا له أن السخين
تدعون من دون الله أن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنفقوه منه ضعف الطالب
والطلوب . ما قدروا الله حق قدره
أن الله لقوى عزيز » .

والخطاب هنا لجميع الناس أبيضهم
وأسودهم ، عربهم وعجمهم ،
والتحدى موجود حتى مع اجتماعهم
وتضامنهم « **ولو اجتمعوا له** » ،
وموضوع التحدى هين يسير صغير
ذباب ، والذباب من أضعف المخلوقات
وأصغرها والتحدى هنا نوعان إما
أن يخلقوا ذبابا وإما أن يستردوا من
الذباب شيئا أخذته منهم وما هم
بفاعلين « **ضعف الطالب والطلوب** »
وفي الحديث القدسي يقول الحق
جل جلاله « **فليخلقوا مثل خلقى ذرة**
أو ذبابة أو حبة » .

وهذه الذبابة الضعيفة يعطيها الله
من الحيلة والوسيلة ما تغلق به

الاشداء وتضايق به الاتوياء ولقد
روى عن أحد الخلفاء العباسيين أنه
كان جالسا في قصره فوقعت على
وجهه ذبابة فطردها فطارت ثم عادت
فوقعت على وجهه . فطردها فطارت
ثم عادت فوقعت على وجهه ، وظل
الأمر كذلك حتى غضب الخليفة
وتضايق ، وهنا .. دخل عليه أحد
العلماء فسأله الخليفة لماذا خلق الله
الذباب ؟؟

وكانما أحسن العالم بما كان
هناك فاجاب قائلا لقد خلق الله
الذباب ليذل به الجبارة يا أمير
المؤمنين ..

ليس هذا الحديث عن « ضعف
القوة » تنفيرا من القوة أو تزهيدا في
الشدة والتعاسك أو دعوة إلى
الضعف لأن الاسلام يدعو إلى كل
أنواع القوة الفاضلة « **واعبدوا لهم**
ما استطعتم من قوة » ولكننا نريد القوة
القائمة على الايمان والعدل والخضوع
لسلطان الله عز وجل « **خفوا** »
« **آتيناكم بقوة** » ونريد القوة العادلة
المتعادلة « **محمد رسول الله والذين**
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

يا أهل الايمان لا تخافوا قوة البغي
في الارض فمن فوقها قوة السماء ،
لا تنهابوا الاتوياء السفهاء من الناس
فإن ثباتكم في وجوههم مع رضى الله
عنكم كفيلا بأن يحطم بنيانهم ويهدم
كيانهم ، ويأتى عليهم من القواعد
« **لا يفرنك ثقلب السخين كفروا في**
البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس
المهاد » انتزعوا من ضعفكم قوة تحيل
قوة عدوكم ضعفا اعتصموا بحيل
ريكم يجعل لكم من أمركم فرقا
وينصركم نصرا مبينا .

حق الله على العباد

للاستاذ عبد الرحمن عبداللطيف

— مع تشديد الأسى والرثاء — عطف الآباء انفسهم على أولادهم ، فهم يكتبون أسامهم ويسترون مخازي أبنائهم ولا يحبون — مهما كانت الظروف — أن تظهر عيوب أولادهم للخلق . وهم في هذا ليسوا بدماء فابوهم نوح عليه السلام — كان المثل الصارخ في هذا والعزاء لكل أب عقه بنوه ، لقد كفر ابن نوح بربه وبآبيه ولم يؤمن رغم تكرار النصيح من آبيه وذهب مع القوم الكافرين ، فأخذ الطوفان مع من أخذ ، وحين ركب نوح ومن معه السفينة دعا ابنه لينضم اليه وإلى المؤمنين (ونادى نوح ابنه وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ،

الشكوى من معقوق الأبناء كثيرة ، والكلام عن واجب الأولاد حيال آبتهم كثير أيضا حتى صار مكررا ومعادا ، والمكرر المعاد لا يكون له اثر الجديد ، وغالبا ما يكون ضعيف الجدوى قليل القيمة .

اذن فلنحاول أن نطرق الموضوع على هامش معانيه وجوانبه وأن نحوم حوله حتى لا نعيد ولا نكرر . إن سبب عدم جدوى نصيح الأولاد هو أن جريمة المعقوق لم تتل حظا من التوضيح والمعرفة لدى الناس ، والا لقاومها المجتمع كما قاوم جرائم أخرى اقل منها قبحا وأضعف أثرا ، ولعل السبب في عدم وضوح جريمة المعقوق ونهيمها الفهم الصحيح هو

حق الوالد على ولاده

بعض الناس مما تسبب في هذا الطوفان من العقوق نقول : يجب ان يعرف الناس ان مرتبة بر الوالدين في الطاعات تأتي بعد عبادة الله وتوحيده مباشرة وفي نفس الوقت هي مقدمة على الجهاد في سبيل الله حتى لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام يستأذنه في الجهاد فقال له (احيى والداك ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد) وفي خبر آخر (نومك مع ابويك على فراشهما بضاحكتك ولبلاعياتك افضل لك من الجهاد معي) واصطلح الناس على ان يصموا الفار من الجهاد باقبح الصفات وابسط ما يصفونه به هو

قال ساوى الى جيل يعصمى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين) . ثم تحركت عاطفة الابوة في نفس الوالد المكلوم فدعا الله كما حكى القرآن الكريم : (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وإن وعدك الحق وائت احكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى اعطتك ان تكون من الجاهلين ، قال رب انى اعوذ بك ان أسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) . وحتى توضح ما خفى علمه على

الجبن والنذالة والخيانة وجريمتيه
— على فحشها — أقل عند الله وعند
الرسول من العقوق ومع ذلك فلم
يصطلح الناس على أن يقولوا للماعق
أنت نذل أو أنت جبان . .

— ولو قالوها لأرضوا الله
وأرضوا رسوله الذى يقول (من رأى
منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا
أضعف الإيمان) .

وقد يحار الإنسان ويعجب من أن
يقرن الله تعالى أمره بأدب الأولاد مع
الآباء بأمره بتوحيده سبحانه وتعالى
وعبادته — أذ يقول سبحانه
(وأعبدا الله ولا تشركوا به شيئا
وبالوالدين أحسانا) ويقول عز وجل
(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين أطسافا) وأن يقرن
شكرهما بشكره سبحانه فى قوله :
(ووصينا الإنسان بوالديه ،
حمله أمه وهنا على وهن وفصاله
فى عامين أن اشكر لى ولوالدك الى
المصير) .

وأىضا فى ردع الخروج على
هذا الأدب الإسلامى ووضع العقوق
فى مرتبته بين جرائم الجحود
— فيقرن بالشرك بالله — يقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
(عقوبتان معجلتان فى الدنيا :
الشرك بالله ، وعقوق الوالدين) .
ثم تزول الحيرة والتعجب اذا
مرفنا أن الاسلام حريص على أن يكون
المسلم ونفيا غير خؤون فيؤدى الأمانة
ويحمل المسئولية بشجاعة ومن غير
جبن ، فلا ينكر الجميل ولا الفضل لمن
أحسن اليه وليس لأحد فضل ولا
جميل على المسلم الا الله سبحانه ثم
آبواه . وانكار فضل الله وهو المنعم
على الإنسان كفر وجحود ودناءة
— وانكار الولد فضل أبيه كفر
وجحود ودناءة — فالجريمتان

متشابهتان ونابعتان من نبيع واحد
هو خسة النفس وضآلتها وهى
صفات لا يرضاها الله للمسلم لأن
الذى ينكر فضل الله وفضل الوالد
لا يعرف يقينا فضل أحد سواهما وأن
ادعى غير ذلك وهو قطعا غير جدير
بوصف المسلم .

فمن صفات المسلم أن يكون
شكورا لأن الأريحية والشجاعة
يقتضيان منه ذلك ، وأن يشكر الله
وشكر الله عبادته وشكر من أجرى
النعمة على يديه ، أولى الناس بهذا
هم الوالدان — على نعمة التربية
والايواء والصيانة والحفظ والتعليم ،
فالولد الرجل لم يخرج من بطن أمه
رجلا بل طفلا صغيرا ضعيفا لو سها
الوالدان عنه لحظة لضاعت حياته ،
فهما اللذان حفظاه وربياه وعلماه
وجاءا ليشبع ، وتعمرىا ليكسى ،
وحرما نفسيهما من كثير من المتع ،
وأحيانا من الضرريات ليوفرأ له ما
يسره وما يشتهيه وما يكمله ويجعله
انسانا مذكورا بين الناس .

إن بر الوالدين معناه طاعتها ،
يجب أن يعلم هذا ، وكلمة البر هنا
لا تحمل معنى التبرع أو التطوع أو
التفضل ولكن معناها الطاعة ،
الطاعة المطلقة طاعة الوالدين لازمة
إلا اذا أمرا بمنكر فلا طاعة لمخلوق فى
معصية الخالق .

وهذه المعاملة الحسنة الطيبة
واجبة للأبوين حتى ولو كانا كافرين
أرايتم ميزات الاسلام ؟؟ وأنعمه على
الانسانية كلها ؟؟ يقول الله سبحانه
وتعالى عن الأبوين الكافرين اذا كان
لهما عهد : (وأنجاهداك على أن
تشرك بى ما ليس لك به علم فلا
تطمعها وصاحبهما فى الدنيا معروفا)
وفى صحيح البخارى عن أسماء
قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى
عهد قريش ومنتهم اذ عاهدوا النبى

قال : (كانت تحتى امرأة أحبها ، وكان أبى يكرها ، فأمرنى أن أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك) .

ويروون تفسيراً لهذه القصة أو تنبأ لها أن الزوجة كانت جميلة وخشى عمر على ابنه من فتنة امرأته وقد مر على بيته فى طريقه الى المسجد ولم يره خرج الى الصلاة .. وصدقت فمراة عمر .

وصدق الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

ووجه العداوة أن الولد أو الزوج اذا فعل فعل العدو كان عدوا ، ولا فعل أشد تبعا من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة ، وقد خشى عمر أن تشغل المرأة ابنه عن البكور فى الذهاب الى المسجد فكان طلاقها أمرا لازما أيداه الرسول صلى الله عليه وسلم فيه (وما ينطق عن الهوى) .

ومن تنطبق عليهم الآية الكريمة الزوجة الأنانية التى تعمل جاهدة على أن تستأثر وحدها بزوجها دون أهله وتوقع — لهذا — بينه وبينهم البغضاء والقطيعة ، يساعدها فى هذا ظروف الزوجية وملابسها وخلواتها ونعومة الحديث فيها ودوام الشكوى منها فى الوقت الذى لا يجد أهله هذه الظروف — ويترفعون بطبيعة مكانتهم عن هذه المساجلات الوطنية ، ويتعاملون بالله ورسوله عن هذه المكائد الشريرة التى تتلخص فى نسبة الظلم منهم لابنهم وزوجة ابنهم .

وكون الوالدين يظلمان ابنهما أمرا لا يتصوره أبدا عقل سليم .. ففى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح أُمى

صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم (ان أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها ؟؟ قال : نعم صلى أمك .

وايضا ما روى من أن عبد الله بن عبد الله بن أبى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم — فشرّب النبى صلى الله عليه وسلم ماء ، فقال له : بالله يا رسول الله ما أبقيت من شراك فضلة أسقيها أبى لعل الله يطهر بها قلبه ؟؟ فأفضل له ، فأنابه بها فقال له عبد الله ما هذا ؟ — فقال : هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتكم بها تشرّبها لعل الله يطهر قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جئتني ببول أمك ؟؟ فأنابه أظهر منها ، فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أما أذنت لى فى قتل أبى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (بل ترفق به وتحسن اليه) . رأيتم كفرا أشد من هذا الكفر ؟؟

وسغولا فى الخلق وفى الكلام وفى الخطاب أسفل من خلق هذا الوالد الفاجر الذى تجرد حتى مما كان فى الجاهلية من بعض صفات الأريحية العربية ؟؟

ثم رأيتم كيف يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه بعدم قتله ، بل يأمره بالرفق به والإحسان اليه .. ثم رأيتم حق الابوة ومكانته فى الاسلام ؟؟ .. الطاعة والرفق والاحسان والمصاحبة الطيبة وصدق الله سبحانه (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ..)

ولنذكر مثالا لطاعة الوالد فى أمر يراه الابن : فى زماننا خاصا به وحده دون سواه .. وهو اختيار زوجته ومعاشرتها ، فقد روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه وعن أبيه أنه

الناس أصلاء متدينين في الماضي وأخيرا - أن عملي في البرامج الدينية ، في الإذاعة (برنامج درس الجمعة ، وبرنامج رأى الدين) كان سبيلا لورود كثير من المشاكل والاستفتاءات بغية الوصول الى حلها وعلاجها عن طريق الدين وحكم الدين .

وكان مما وصلني رسالة أعجبتني ولا أكتف أنها أضحتني لأن صاحبها كتبها ، مسرورا غير مقهور وابتناساته وتهتهاته يملآن سطورها .. يقول صاحبها : (امتحتن بعقوق الولد الذي يتظاهر لا بالتدين فقط ولكن بالولاية أيضا ويحب الوالد وأطرائه وصبره على شدته وظلمه له ، ويستمد من الآن لتثريف أبيه عند موته بكل أنواع التثريف والحفاوة والتكريم ، مع أنه لا يزوره الا في المواسم الرسمية ، ويقول الوالد : ما الرأي في هذا ؟ وأنا لا أستطيع السكوت من قول الحق حيا وميتا ، ولا أستطيع السكوت عن هتات أهلي حيا وميتا ، ولا عن النصيحة حيا وميتا ، والمرشد الحق هو من أرشد الناس بعد موته كما أرشدتهم في حياته) - وقد أعجبتني في وصف هذه الحالة - الحالة التي شرحتها لك - قول الشاعر :

لا الفينك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي
فما رأيك ؟؟

وأنا لم أجد ردا بليغا على هذا السؤال الا كتابة السؤال واسماعه للناس لعل من تنطبق عليه أوصافه من الإبناء لا ينشد شحه في الحياة بالزاد ولا كرمه عند الموت بالذنب . وما أروع وأصدق قول الله سبحانه : (بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره) .

وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وأن واحدا فواحدا - ومن أمسي وأصبح ، مسخطا لوالديه أمسي وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار وأن واحدا فواحدا ، مقال رجل : يا رسول الله وأن ظلماه ؟ قال : وأن ظلماه ، وأن ظلماه ، وأن ظلماه ؟ (..)

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر قطعا الظلم ولا يرضاه ، ولكنه يرى بنور الله نور النبوة أن الوالدين لا يظلمان ابنتها أبدا ولو صدر منهما بسبب حبهما له وحبهما على مصلحته وتقويم أمره ما يخیل اليه أنه ظلم أو ينقل له ويفسر من أذئاب ابليس قرناء السوء على أنه ظلم فلا يصدق ويحترس ويحذر استجابة للآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويقول سبحانه عنهم وتوضيحا لرسالتهم الفاسدة (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

ولو آمن الوالدان بالله وحده واعتزا بالله وحده دون سواء من البنين والبنات ، ولو آمن الناس كلهم هذا الإيمان واعتزوا هذا الاعتزاز وتادبوا بأدب الرسول الكريم الذي أدبه ربه به فأحسن تأديبه والذي نقل هذا الأدب من الله عز وجل إلينا ، وهو يقول للزوج - لرب الأسرة - (الديوث الرجل يسكت على هتات أهله) ويقول للمسلمين جميعا (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسا به فإن لم يستطع فليقلبه) وهذا أضعف الإيمان) .

لو تأدب الناس بهذا الأدب لزال جرمية العقوق ، والدليل على هذا أنها استشرت حينما ضعف تدين الناس ولم يكن لها وجود يوم كان



دستور الأخلاق في القرآن

دراسة مقاربة للأخلاق في القرآن الكريم

تأليف المرحوم :
الدكتور محمد عبد الله دراز

ترجمة :
عبد الصبور شاهين

عرض وتحليل :
محمد عبد الله السمان

الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر عام ١٩٥٠ ، وظلت فكرة تعريبها زهاء ربع قرن تتأرجح بين الأزهر ووزارة الأوقاف المصرية ، حتى قبض الله لتحقيق الفكرة من هم أهل لكل عمل جاد ، وكل جهد مشكور .. ولا أظن أن القراء بحاجة إلى التعريف بالمؤلف رحمه الله ، وهو من العلماء الأفاضل ، القلائل ، الذين توافر لهم بسطة في العلم ، وقوة في الإيمان ، وعزة في النفس والذين قدر لهم أن يعرفوه عن كتب ، يدركون

هذا الكتاب القيم الذي أسهمت في نشره دار البحوث العلمية بالكويت ، ومؤسسة الرسالة في بيروت في زهاء ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وهو الدراسة التي استوعبتها الرسالة الأساسية التي نال بها المؤلف دكتوراه الدولة من السوريون حيث نوقشت أمام لجنة مكونة من خمسة من أساتذة السوريون والكوليج دي فرانكس في ١٥/١٢/١٩٤٧ ، وقد كتب المؤلف الرسالة بالفرنسية ، وطبعت النسخة

ان المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر الا كل حين ..

أما دراسته التي بين أيدينا : (دستور الاخلاق في القرآن) فهي على المستوى العلمي الرفيع ، ولا اظن ان كلمات — أيا كانت — تقى حقها من التقدير ، وقد قدم لهذه الدراسة بمقدمة موجزة مركزة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوي استاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية ، الذي قام أيضا بمراجعة الرسالة ، وقد عاش معها مرتين : مرة أثناء تأليفها — حيث كان يدرس في باريس ، ومرة أثناء ترجمتها ، والحق ، ان المقدمة — على ايجازها تلقى أضواء على هذه الرسالة الجامعية ، هي بمثابة خلاصة سريعة للأفكار الرئيسية فيها تيسر للقارئ استيعاب هذه الدراسة القيمة .

كذلك كانت كلمة المعرب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين استاذ مساعد الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة — جديرة بكل تقدير لأنها بمثابة تقييم فني دقيق لرسالة المؤلف ، والدكتور عبد الصبور شاهين الذي قضى ثلاثة أعوام متفرغا لهذا العمل الكبير ، عاش بمقله ووجدانه مع هذه الدراسة القيمة ، فهو ليس متمكنا من اللغة الفرنسية — وحسب — بل هو أيضا متمكن من دراسة الفكر الاسلامي لذلك لم يشأ ان يقوم بعمل آلى يهتم بالدقة في الترجمة حرفية للنص الفرنسي ، وإنما أراد ان يقدم عملا متكاملًا أقدم عليه ، مدركا أن غيره من العلماء القادرين على الترجمة ، تردد أكثر من مرة في قبول هذا العمل ، وانتهى به المطاف الى الرفض بأدب لان دراسة

تنسب الى المؤلف العالم الجليل ، لم يتوقع لها إلا أن تكون على مستوى من العمق يحتاج في نقله الى العربية الى جهد مضن — لا يتوافر له العلم والأناة وحسب — بل أيضا القدرة على الصياغة العربية التي تقارب في أساليبها ، أسلوب المؤلف البلاغي العميق ، الذي نلمسه فيما كتب باللغة العربية .

إن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة — كما يقول الدكتور السيد محمد بدوي — هو إبراز الطابع العام للأخلاق التي تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية، وتبين على الكتاب من أوله الى آخره ، فكرة رئيسية ، هي أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلي تطرى وأن القانون الأخلاقي ، قد طبع في النفس البشرية منذ نشأتها : « ونفس وما سواها . فإلهمها فجورها وتقواها » غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فيها ناقص وغير كاف . ليس فقط . لأن العادة ، والوراثة ، واثار البيئة ، والمصالح المباشرة تقسد نوازعنا التلقائية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة في الدنيا تستوعب القسط الأكبر من نشاطنا الواعي بل ان ممارسة الأخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهي أن الضمير اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها ، وجد نفسه عاجزا في غالب الأحيان عن أن يقدم في جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع فاذا تجاوزنا حندا معينًا نجد أن (اليقين) الأخلاقي قد ترك مكانه للاحتيالات والتردد والمهايات وهذا هو السبب الذي من أجله بعث الله في الناس — من حين لآخر — نفوسا متميزة بمهمة بالوحي الرباني .

المؤمنون نجد مرجعها اما الى
ترجمات غير صحيحة ، واما الى
تلخيص نسي ، واما الى الامرين معا .

ثم يشير المؤلف الى أن هذا هو
الدافع الاساسي الى هذه الدراسة
فقد أصبح من الضروري أن يتناول
الموضوع من جديد ، وأن يعالج تبعاً
لمنهج أكثر سلامة ، من أجل تصحيح
هذه الأخطاء ، ولعل ، هذه الفجوة
في المكتبة الأوربية وحتى نرى علماء
القرب الوجه الحقيقي للأخلاق
القرآنية . .

قسم المؤلف الدراسة الى خمسة
فصول :

في الفصل الاول يبحث المؤلف فكرة
الالزام — أن أي مذهب أخلاقي
يستند في نهاية الأمر على فكرة الالزام
وإذا لم يعد هناك الزام فلن تكون
هناك مسؤولية ، وإذا عُدتم
المسؤولية فلا يمكن أن تعود العدالة
وحيث أن تتفشى الفوضى ، لا في مجال
الواقع فحسب بل في مجال القانون
أيضاً فإلى أي اتجاه يريد أن يتقودنا
بعض أصحاب النظريات من المحدثين
أمثال (جيبو) في كتابه (نحو أخلاقية
بلا الزام ولا جزاء ؟ أذن فكيف نتصور
قاعدة أخلاقية بدون الزام ؟ ليس هذا
تناقضا في الحدود ؟ ويعرض المؤلف
بعد ذلك لمصادر الالزام الأخلاقي لدى
الفلاسفة والمفكرين ، فالفيلسوف
الفرنسي (برجسون) يكشف في تحليله
العميق لقضية الالزام الأخلاقي عن
مصدرين : هما قوة الضمير
الاجتماعي ، وقوة الجذب ذى الرحابة
الانسانية ، المستمدة من العصور
الإلهي ، وهي قوة أوسع مدى من

يجدر بنا هنا قبل أن نعرض
لموضوع الدراسة القيمة ، أن نجلى
للقارئ الفكرة الرئيسية لدى المؤلف
— رحمه الله — والتي حدث به الى
اختيار دراسة مضمينة شاقة وهذا
ما يلهمه من واقع مقبمته ، وهذه
كلمات وجهها الى القارئ نفسه حيث
يقول : (ولست أكون لدي قارئنا
الواعي فرصة أن يقدر الى أي مدى
يؤني كتابنا — الذي نقدمه اليوم
اليه — بهذه الشرائط المطلوبة في
التأليف — وهي التي تدعو دائماً كل
كاتب أن يسير على نهجها فلم يكن
شروعنا في هذا المؤلف الجديد عن
القرآن عبثاً نضيع فيه وقتنا ، ونثقل
به على قرائنا ونزحم به مكتبنا ،
فاذا لم يأت عملنا بشيء جديد في عالم
الشرق أو الغرب ، فلن يكون سوى
مضيعة وزحمة وإثقال .)

يرى المؤلف رحمه الله : أن غسي
مؤلفات علم الأخلاق العام ، التي
كتبها غربيون — فراغا هائلاً وعميقاً
نشأ عن صمتهم المطلق عن علم
الأخلاق القرآني ، وهذه المؤلفات
تذكر لنا بايجاز أو بإفادسة ، المبادئ
الأخلاقية كما ارتأتها : الوثنية
الافريقية ، ثم أديان اليهودية
والمسيحية . . ثم نتقلنا بفتة الى
العصور الحديثة في أوربا مغفلة كل
ما يمس الدستور الأخلاقي في القرآن
أما المحاولات التي تمت خلال القرن
التاسع عشر من أجل استخراج
المبادئ الأخلاقية من القرآن فقد
كان أطارها في الغالب محدوداً ، كما
كان مضمونها بعيداً عن المطابقة
الدقيقة للنظرية القرآنية الحققة فمن
حيث الاطار نجدهم قد أغفلوا الجانب
النظري من المسألة ، ومن حيث عيوب

الإله - الإله الحكم - ولا معقب لحكمه) .

وفى الفصل الثانى يبحث المؤلف فكرة (المسؤولية) فيرى أن فكرة الالتزام ، يرتبط بها ناتجان ، يستلزم أحدهما الآخر بدوره ، ويؤيده ويدعمه ، هما فكرة المسؤولية ، وفكرة الجزاء التى سيعرض لها فى الفصل الثالث والواقع - كما يقول المؤلف - أن هذه الثلاث يأخذ بعضها بحجز بعض ولا تقبل الانفصام فإذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخرى على أثرها ، وإذا اخفت ذهبتا على الفور فى أعقابها ..

وفى دراسة المؤلف لفكرة المسؤولية بحث الصفات العامة التى تنبع من تحليل هذه الفكرة ، ثم شروطها من الوجهة المزدوجة الأخلاقية والدينية ، وأخيرا جانبها الاجتماعى ثم قرر المؤلف فى النهاية أن القرآن تولى بصنة جوهرية وجهة النظر الأخلاقية ، وراح يقر فى هذا الصدد الشروط التى تتفق تمامها مع مقتضيات المشروعة لأعظم الضمان استنارة واهتماما بالمعالة ..

وفى الفصل الثالث ، بحث المؤلف فكرة الجزاء والعلاقة بين الإنسان والقانون تمثل لاعتينا فى شكل حركة اقبال وإدبار ، مكونة من (ثلاثة أزمنة ، ولقد كنا مع فكرة الالتزام ما نزال فى نقطة البداية ، ولكننا مع فكرة الجزاء نجد أن دائرة هذه العلاقة الجدلية سوف تقفل ، والجزاء هورد فعل القانون على موقف الأشخاص الخاضعين لهذا القانون الذى هو مطلب لا يقاوم لأنفسنا وفرض صارم لضميرنا الجماعى وهو فى الوقت

سابقتها ويرى المؤلف أن عرض (برجسون) هذا ، إذا نظرنا إليه على أنه وصف وتحليل لواقع معين نجده فى التجربة أمكن القول بأنه لم يغفل كثيرا من الأساس ، أما إذا تناولناه - على أنه نظرية فى الالتزام الأخلاقى - فإن تحليله يحمل بعض الصعوبات وشيئا من الاتحراف عن الجادة بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية .. أما الفيلسوف (كانت) الذى كثف عن مصدر الالتزام الأخلاقى فى تلك الملكة العليا فى النفس الإنسانية والتى توجد مستقلة عن الشهوة ، وعن العالم الخارجى معا ، فيرى المؤلف أن (كانت) قد أحسن صنعا ، برغم بعض النقص فى طريقة تقديمه لنظريته ، فإذا ما رددناها الى أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ونزعى التسمى والنشأ ، ومن بعض ما شابهها من البرود العاطفى ، فهى بعد هذا لا تعد من المسلمات فحسب ، بل انها لتتفق تماما - فيما نرى - مع النظرية المستخلصة من القرآن .

ويطرح المؤلف - رحمه الله - تساؤلا : هل للشريعة الإسلامية مصدر واحد أو عدة مصادر ؟ ثم يعقب قائلا : أن الفقهاء قد حددوا لها بعامة أربعة مصادر : القرآن والسنة ، والإجماع والقياس ، وإذا كان التحليل الذى قدمنا صحيحا - باستثناء بعض التحديدات التى يجب أن نضيفها الى هذا القول - فلا ينبغي أن يكون لدينا سوى سلطة لشريعة واحدة بالمعنى الصحيح ، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة فى كثير من آياته : أن الحكم

نفسه أمر مقدس لضمير الفرد في اكمل صورة واقسمها .
ثم عرض المؤلف للمبادئ الثلاثة للجزاء ، الجزء الأخلاقي — الجزء القانوني — الجزء الإلهي وعلى حين أن الجزء الأخلاقي والجزء القانوني بطبيعتهما ، لا يؤثر كل منهما مباشرة إلا على عنصر مختلف من الشخص : الحاسة أو الضمير فإن مما يميز الجزء الإلهي هو أنه يجب أن يكون كلياً وكاملاً ، إن رحابة الفكرة القرآنية عن الجزء أمر بدهي ، أنها ليست نزعات خاصة لإنسان ، ولا آراء شخصية لفيلسوف ، ولا رأياً شائعاً في عصر أي عصر . سواء كان معاصراً للإسلام أم سابقاً عليه أم لاحقاً به ولما كانت هذه النظرية شاملة بفضل غايتها ، أرادت أن تكون كذلك شاملة بفضل منهجها ، ومن ثم — كما يقول المؤلف — فإن ما تركه الحكماء المتقدمون منذ سقراط ، وما كتبه فلاسفة العصر الحديث حتى (كانت) ، وما جاء به القديسون والأنبياء منذ بدء الزمن حتى موسى وعيسى — كل مذهب من هذه المذاهب ، لا بد أن يجد في النظرية القرآنية إحدى الصيغ التي يوافق عليها .

وفي الفصل الرابع بحث المؤلف « النية والدوافع » فالنية بالمعنى الواسع للكلمة ، حركة تنزع بها الإرادة نحو شيء معين ، سواء لتحقيقه أو لإحرازه ، وتطلق كلمة (غاية) أو (هدف) على ذلك الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة مستقبلية بتعين السعي وراءها وبلوغها ، ولكنه من حيث هو مبدأ أو فكرة تحفز النشاط الإرادي ، وتهدد

له ، يطلق عليه (باعث) أو (دافع) وباعتبار أنها « باعث تصور » فكرة الخير الأسمى حالة عقلية صرفة تستخدم في تسويق العمل المعتمد وجعله معقولاً ، لكن حين تتجاوز هذه المرحلة العقلية نجد أن فكرة الهدف تتمثل لنا كقوة محركة تدفع نشاطنا ، وحين ننظر إليها من وجهة هذا التأثير على الإرادة ، فإننا نطلق عليها اسم الدافع ويقرر المؤلف أن فكرة القصد أو النية في كلتا الحالتين — ولأنها تتصل بواجب عمل — ينبغي أن تتطوى هنا على ثلاثة عناصر تكوينية وقد بحثها المؤلف بحثاً تفصيلياً دقيقاً ، وهي تصور المرء لما يعمل ، إرادته إحداثه ، ثم إرادته بالتحديد على أنه شيء مأمور به أو مفروض .

وفي الفصل الخامس ، بحث المؤلف (الجهد) ومفهوم الجهد لا يتحدد بواسطة العمل بعامة ، بل بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذي موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادي ، ولكنه يجب أن يتوافق أيضاً مع المعنى الأخلاقي ، والتماثل بين المجالين واضح جلي فعلى صعيد الإبداع الخير ، يصادف الفكر غالباً في الموضوع ، وفي نفسه — فحين ينبغي أن يتخطاهما : جهود المسادة التي يجب تحويلها ونقص الهمة في الإرادة الفاعلة والأمر كذلك عندنا يجب الامتناع عن الشر ، في مواجهة القوى التي تدفعنا إليه ، في هذه الحالات جميعاً لا يكفي أن (نفعل) بل يجب أن نجاهد بقوة وإصرار . . ثم عرض المؤلف بمسألة ذلك للجهد البدني وهو في الإسلام لا يمكن أن تكون له قيمة منفصلة عن مضمونه ، فإذا كانت هناك أخلاق ترى في الألم النازل بأجسادنا ، من حيث هو قيمة البقية ص ١٠٢

وليم : أصفهان

للواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

كنا صديقين حميمين ، أحدهما تاجر من طهران والآخر تاجر من
اصفهان ربطت بينهما المعاملات التجارية المادية ، فكان كل واحد منهما
يشهد لصاحبه بالاستقامة في المعاملة المادية .

وفي يوم من الأيام ، اتفقا أن يزورا معا الديار المقدسة والمسجد
الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ويؤديا فريضة
الحج ، ويعودا معا إلى بلادهما : لا يفرقان ويتعاونان على البر والتقوى ،
ويشد أحدهما عضد أخيه ويعينه على تحمل مشقات السفر الصعب
الطويل .

ولم تكن في تلك الأيام سيارات وقطارات وطائرات تقطع المسافات
الشاسعة بوقت قصير ، وتجعل السفر الشاق مريحا ، بل كانت الخيل
والجمال والحمير والبغال هي وسائط النقل للموسرين ، وكانت الأقدام
هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعسرين .

وكان في كل بلد إسلامي رئيس قافلة معتمد ، وكانت القوافل من
شتى البلدان الإسلامية ، ومعها حرس خاص من الجنود النظاميين أو من
الجنود غير النظاميين ، لحماية القوافل المتوجهة إلى الديار المقدسة
والمعتمدة منها ، وكانت الطرق محفوفة بموذاك بالأخطار ، مهددة بقطاع
الطرق واللصوص ، وقصد الصديقان رئيس قافلة مشهورا بشجاعته

وامانته ، فضمن لهما حمايتهما حتى يعودا سالمين الى بلادهما بعد اداء
 فريضة الحج ، وضمن لهما حملهما على دوابه نهارا واياما .
 وكان يوم خروج قوافل الحجاج من البلدان الاسلامية يوما مشهودا
 تعطل فيه المدارس والاعمال ، ويتجمع الناس لوداع الحجاج ، وتشارك
 الحكومة في احتفالات التوديع وتقد الطبول وتسهل الخيول ، ويوزع المال
 والطعام على الفقراء والمحتاجين ، ويتعالى التكبير والتهليل .
 وكما كان يوم خروج القوافل من البلدان الاسلامية يوما مشهودا ،
 كذلك كان يوم عودتها ، مع فارق بسيط هو ان التوديع تتخلله بعض
 العبرات ، والاستقبال تتخلله الزغاريد .
 وقدم الاصفهاني الى طهران ، وانضم الى قافلتهما مع صاحبه
 الطهراني ، وخرجت القافلة مودعة باحتفال مهيب ، واتجهت من مرحلة الى
 اخرى سالكة الطريق البري : طهران — خانقين — بغداد — السبف —
 جيجمة — حائل — المدينة المنورة — جدة — مكة المكرمة — عرفات .
 وكان هذا الطريق البري الذي كان ولا يزال يسمى طريق الست زبيدة —
 زوجة هرون الرشيد — عامرا بالخانات والبيوت واحواض الماء ومراكز
 الشرطة ، وكان اقرب الطرق المؤدية الى الديار المقدسة لحجاج العسراق
 والخليج العربي والمشرق الاسلامي .

— ٢ —

لم تخل رحلة الصديقين من منقصات ، فقد اصيب احدهما بالمرض حتى
 اشرف على الموت ، وتعرضت القافلة لهجمات اللصوص وقطاع الطرق ،
 وحدثت مشاكل يومية مع المسافرين والمسؤولين عن القافلة ، فكان احدهما
 يحب لآخيه ما يحب لنفسه ، بذل كل واحد منهما اقصى جهده بكل اخلاص
 لمعاونة صاحبه .
 والصداقة تقوى وتشد في ايام الشدة والعسر ، اكثر مما تقوى
 وتشد في ايام الرخاء واليسر ، وهكذا توطدت صداقتهما واصبحت راسخة
 الأركان .

ورفقة الحجاج تؤدي الى صداقة لا تنسى ، فكل مودة لله تصفو .
 وكان احدهما يقول لصاحبه : كيف استطيع فراقك بعد العودة الى
 الوطن ، فاسكن بلدا وتسكن بلدا ؟
 وتعاهد الصديقان في البيت الحرام ، ان يتزاورا باستمرار ، والا
 ينسى احدهما الآخر ، بعد العودة الى الوطن .
 وعادت قافلتها من الديار المقدسة ، بعد ان صافف افرادها الاحوال
 في الطريق ، وكان قد مضى على خروجها عام كامل .
 وسارع الاصفهاني بعد وصول قافلته الى طهران بالسفر الى بلده ،
 فقد كان يشوق غامر الى اهله ونويه .
 وودعه صاحبه الطهراني ، وسار معه الى مشارف المدينة ولكنكره

بوعده الذى قطعه على نفسه فى البيت العتيق أن يزور صديقه فى طهران بأسرع وقت وأقرب فرصة .

ووصل الى مدينة أصفهان ، وأمضى مع اهله ثلاثة أشهر وكانت ثلاث سنين فقد كان على آخر من الجهر شوقا الى صاحبه الطهرانى ورتب أمور متجره ، وقضى ما عليه من حقوق ، ثم يم شطر طهران . وكانت الحياة حينذاك سهلة بسيطة ولم تكن صعبة معقدة ، فقد عقدت المدينة الحديثة الحياة ، وضاعفت متطلباتها الضرورية ، وكانت أكثر الضروريات اليوم لا يعرفها الناس ولا يعتبرونها ضرورة أو غير ضرورة ، وكان بإمكان الرجل أن يعمل أياما ليعيش برفاه وسعة شهورا ، لذلك عاد الأصفهاني الى طهران بعد ثلاثة أشهر من وصول أصفهان ، وكان فى نيته أن يمكث فى ضيافة صديقه الطهرانى وقتا غير قصير .

- ٣ -

ولح الطهرانى صديقه الأصفهاني مقبلا ، فوثب لاستقباله مهرولا ، واخذه بالأحضان مقبلا .

وكان الطهرانى فى متجره ، يحاور أحد كبار التجار فى صفقة كبيرة ، فاعتذر من ذلك التاجر قائلا : نؤجل الصفقة الى موعد آخر ، فقد شغلنى عن الصفقات والبيع والشراء حضور صديق العمر .

وعمد الى متجره ، فأغلق ابوابه ، وقاد صديقه الى داره هائسا باثسا مستبشرا فرحا ، مكررا عبارات الترحيب الحارة .

وفى الدار ، استضاف صديقه فى غرفة نومه ، وصرف زوجته منها ، وجعل ذلك الصديق يرقد فى سرير زوجته زيادة فى الترحيب والاكرام .

وحين حل موعد الفداء ، وكان الطهرانى قد حشد أصنافا من الطعام الفاخرة بما لا يقل عن عشرين صنفا ، وحشد نحو خمسين مدعوا من كرام الناس .

وكان يقدم صديقه الأصفهاني للمدعوين واصفا اياه بأنه صديق العمر ، وإن زيارته أمل العمر .

وكما فعل فى وجبة الفداء ، فعل فى وجبة العشاء ، ولم يذهب الى متجره فى ذلك اليوم ، ملازما صديقه ملازمة الظل للإنسان النسائر فى الشمس .

وبالغ فى اكرام صيفه مبالغة نادرة : يصب الماء على يديه ويقترح عليه تبديل ثيابه ودخول الحمام ، ويتمنى على صديقه أن يطلب خدمة من الخدمات .. الخ ..

ومضى اليوم الأول ، متجر الطهرانى مغلق وأعماله معطلة ، وبيته يجمع بالضيوف وأصناف الطعام ، وزوجته غاضبة ، واهله منهكون ، وجميع أهل الدار يتمنون على الله أن يرسل عنهم هذا الضيف الثقيل .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سأل الطهرانى صاحبه الأصفهاني : لملك رخصيت عن وليمتى الفداء والعشاء .

وقال الاصفهاني : ان ولائكم ممتازة ، ولكنها ليست اصفهانية ..
 وظن الطهراني ان صاحبه لم يرض عن ولائمه فعزم في نفسه امرا .
 حشد في وليمة الغداء خمسين صنفا من اصناف الطعام الفاخر ،
 ودعا نحو مائة شخصية سياسية وعلمية .
 وكرر هذا الحشد الضخم من الطعام والناس في وليمة العشاء .
 وبالف في اكرام ضيفه بمبالغة لا توصف .
 ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سال الطهراني صاحبه
 الاصفهاني (لملك رضىت عن ولائم اليوم) .
 وقال الاصفهاني (ان ولائكم فاخرة ولكنها ليست اصفهانية) .

— ٤ —

وظن الطهراني ان صاحبه لم يرض عن ولائمه منتقضا قدرها بقوله :
 (ليست اصفهانية) ، وكأنه لم يستطع ان يأتى بما يفعله الاصفهانيون في
 ولائهم .

وعزم ان يرضى صاحبه الاصفهاني في ولائمه التي سيولها في اليوم
 الثالث من زيارة صديقه الحبيب .
 وكان اليوم الثالث من أيام الضيافة يوما نادرا مشهودا من ايسام
 طهران في اقامة الولائم والبذخ في اصناف الطعام وعدد المدعوين .
 حشد في وليمة الغداء والعشاء كل صنف من اصناف الطعام المعروفة
 في طهران .

حشد لإعداد الولائم كل طبخ مشهور وغير مشهور في طهران .
 ودعا لتناول الطعام مع ضيفه كل سياسى وعالم ومفكر ووجيه
 حتى بلغ عدد المدعوين الف رجل أو يزيدون .
 ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ليلا ، سال الطهراني صاحبه
 الاصفهاني (كيف وجدت وليمتي اليوم ؟) .
 وقال الاصفهاني (انها فذة حقا فاخرة حقا ، ولكنها ليست اصفهانية) .
 وفي صباح اليوم التالي اسرج الاصفهاني بقلته وودع صديقه ،
 وسافر الى اصفهان .

وتنفس الطهراني الصعداء فقد اتفق على ولائمه مبالغ ضخمة من
 المال وعطل متجره وفارق زوجته في الفراش وتنفس الصعداء اهل الدار ،
 فقد كادوا يموتون من الاجهاد والإعباء . وقال الطهراني في توديع
 الاصفهاني (سآزورك وشيكا في اصفهان لأرى ولائكم الاصفهانية) .

— ٥ —

وبعد ايام معدودات سافر الطهراني الى اصفهان ، وهو اشد ما يكون
 شوقا لرؤية الوليمة الاصفهانية كيف تكون . كان الاصفهاني في متجره يبيع
 ويشترى حين وصل صديقه الطهراني ، وكان يحاور تاجرا كبيرا لعقيد
 صفقة تجارية ، فقام مرحبا بصاحبه ، ثم استأنف محاورته مع التاجر
 الكبير .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، وهو موعد اقبال التجار ، نهض

الأصفهاني وأغلق متجره وقاد صديقه إلى داره .
وفي الدار أدخله إلى غرفة الضيوف ، ولم تكن الفنادق شائعة
حينذاك ، وكان في كل دار كبيرة غرفة معدة للضيوف ، وكل غرفة من تلك
الغرف تحوى العديد من سرائر النوم والأغطية .
وفي تلك الغرفة قال لصديقه (اختر لنفسك سريرا تنام عليه ،
وساعدوك اليك بعد دقائق لتناول طعام الفداء) .
وعاد الأصفهاني ، وسأل ان ياتوهما بالفداء ، وكان الفداء بسيطا
هو المتيسر في الدار من طعام .
وبعد تناول الطعام استأذن صاحبه قاتلا له (ساهب إلى المتجر
الساعة السادسة بعد الظهر كما أفعل كل يوم ، وسأبقى هناك حتى الساعة
الثامنة ، فإن شئت رافقتني ، وإن شئت انيت وحدك ، وإن شئت ذهبت
إلى المقهى ، وإن شئت تجولت في البلد ، وإن شئت بقيت في الدار ..
أنت حُر) .

وفي الساعة الثامنة مساء عاد الأصفهاني إلى الدار ، فطلب
العشاء ، وكان بسيطا اعتياديا هو ما يقدم للأهل كل يوم .
وقدم الفطور للضيف في صباح اليوم التالي فتناوله الطهراني وحده
في غرفة الضيوف وتناول الأصفهاني فطوره مع أهله .
وتكرر ذلك ثلاثة أيام طعام الفطور والفداء والعشاء اعتيادي
بسيط ، والأصفهاني يذهب إلى متجره صباحا ومساء كالمعتاد ، ولا أحد في
دار الأصفهاني يعرف بوجود الضيف وهويته لأن الأصفهاني لديه في
كل يوم ضيوف يتناولون الطعام الاعتيادي الذي يتناوله أهله في الدار سواء
بسواء .

كان كل شيء بالنسبة للأصفهاني طبيعيا عفويا غير متكلف ، ولكن
لم يكن كل شيء بالنسبة للطهراني طبيعيا فقد كان يعمل نفسه كل يوم
بوليمة أصفهانية ، وحين لا يجد تلك الوليمة التي طال شوقه إليها وانتظاره
لها ، يختلق لنفسه المعانير فيقول ربما أهله مرضى ربما ستكون الوليمة
غدا ، ربما ينتهي لها الأصفهاني وبعد لها العدة . ربما .. ربما ..
ومرت بضعة أيام ، وطعام الفطور والفداء والعشاء اعتيادي جدا ،
يقدم للضيوف ما يقدم لأهل الدار .

ونفذ صبر الطهراني ، فقال لصديقه الأصفهاني (متى موعد الوليمة
الأصفهانية ؟ لقد بذلت كل جهدي في الولائم الطهرانية ولكنك على ما يبدو
فضلت عليها الولائم الأصفهانية وقد طال شوقي لرؤيتها وتذوقها ، فمتى
أحظى بوليمتك المرتقبة ؟) .

وضحك الأصفهاني حتى استلقى على قفاه وبعد ان سكنت عنه
ضحكه قال (يا صاحبي كل يوم في كل وجبة من وجبات الطعام ، تقدم
اليك وليمة أصفهانية) .

لم أكن أقصد حين كنت أقول لك عن ولائكم بأنها ليست وليمة
أصفهانية .. ان ولائكم غير فخمة ولا فاخرة كنت أقصد انها ولائم متكلفة ،

لأننا في أصفهان لا نتكلف لضييفا .
 أننى حين قدمت طهران ضيفا عليك ، عزمت على أن أبقى في ضيافتك ثلاثة أشهر على الأقل .
 ولكننى حين رأيت ولائكم المتكلفة وتصرفكم المتكلف قطعت زيارتى بعد ثلاثة أيام رحمة بك وشفقة على عيالك .
 وأنت اليوم إذا بقيت ضيفى ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ، فإن تكلفنى شيئا ولن يشعر بوجودك أحد من أهلى .
 أن أهلى سبع عشرة نسمة بين ذكور وإناث ، ولن يزيد عليهم ضيف أو ضيفان أو ثلاثة ضيوف شيئا فى طعامهم أو شرابهم .
 وحين أقدم اليك ما أقدمه لأهلى من طعام ، فقد رفعت اخوتك أنى منزلة الولد والوالد والوالدة وأنزوج .
 تلك هى الوليمة الأصفهانية .
 إننا أمة الولائم ، نقضى فى إعدادها وقتا طويلا وننفق عليها المبالغ الحسيمة ، ونتحمل من أجلها ما لا نطبق ونحن على النطاق الاجتماعى والفردى ، نسرف فى الولائم اسرافا لا مسوغ له ، على حساب المال الذى يذهب بددا ، وعلى حساب الوقت الذى يذهب سدى .
 ما ضرنا لو جعلنا ولائنا أصفهانية لتوفر على أنفسنا المال والجهد ، وعلى أهلنا المشقة والتعب ، وعلى الضيوف الوقت الثمين .
 ما ضرنا لو أنفقنا المال الذى يسدد فى الولائم لاسعاد الفقراء والمحتاجين ، والوقت الذى ينفق فى إعدادها وتجهيزها فيما ينفع الناس .
 لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلف لضيفه .
 وحسبنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنة ومثالا شخصيا .
 وحسبك إكراما للضيف أن تقدم له ماتقدم لأهلك .
 إن الذين يسرفون فى تقديم الطعام للمتخمين الذين ليسوا بحاجة إليه ، هم غير كرماء .
 إن الكريم حقا هو الذى يقدم الطعام للمحتاجين إليه والمحرومين منه ، فمتى تضع الأمور فى نصابها الصحيح ؟
 إن أطعام الأثرياء اسرافا وأطعام الفقراء كرم ، والكرم محمود ، والأسراف مذموم .
 ومن المؤلم حقا ، أن الولائم الفاخرة من حظ الأغنياء ، أما الفقراء فليس لهم إلا الجوع .
 فهل يمكن أن نصف الذين يولون الولائم الفاخرة للأغنياء والمتخمين بأنهم كرماء ؟ أم يجب أن نصفهم بصفات أخرى منها الاسراف .. والنفاق ؟

الأيام بمقتلية كمقتلية المغفور له الدكتور دراز ؟ وهل كان أو سيكون في مقدور غيره أن يقدم إلى المكتبة الإسلامية دراسة كهذه ؟ وهل هناك سر جعل من هذه الدراسة دراسة على أعلى المستويات وأرفعها ؟ وأرجأت الإجابة عن السؤالين الأولين ، ووجدت الإجابة عن السؤال الثالث ، في كلمة المعرب أذ يقول : (والحق أن المؤلف فيما أرى — لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة إلى هدف ، هو نيل اجازة دكتوراه الدولة في الفلسفة من السوريين ، فقد كان يوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهد ، ولكنه كان يحمل في ضميره رسالة هذا الدين) .

وأضيف : لقد أدى العالم الجليل واجبه وحسبه من العقوق لفكره العظيم ، أن ظل عمله الكبير في انتظار التعريب زهاء ربع قرن ولست أدري بعد أنجاز المهمة الصعبة أن كانت جامعاتنا الإسلامية وفي مقدمتها جامعة الأزهر سيقدر لها أن تنفذ من هذه الدراسة المقارنة أم أن العقوق الذي رافق النص الفرنسي سوف يشمل النص العربي أيضا ؟

وكلمة إتصاف لا بد منها الحق : أن الدكتور عبد الصبور شاهين الذي قام بمهمة الترجمة ، لم يتم عمله كما يقوم بأعمالهم سائر المترجمين وإنما بذل جهدا واضحا الأثر في الدراسة ، ولقد عايش النص بعقله ووجدانه واقتنع بالعمل العظيم ، لذلك جاء جهده مشكورا ، وجديرا بكل تقدير ؟

جديرة بأن تطلب لذاتها ، أو باعتبارها نظاما لنجاة النفس فإن هذه ليست أخلاق القرآن على وجه التأكيد ذلك أن هذه الأخلاق لا ترى أن يبحث الإنسان عن الألم البدني صراحة فظلا عن أن تأمر به فهي قد فرقت تفرقة واضحة بين الجهد البدني الذي يتضمنه واجب مقرر أو الذي يصحبه من وجبه طبيعي ، وبين جهد مندوب هو إبداع خالص لهوى أنفسنا ، إن هذه الأخلاق ترفض هذا النوع الأخير من الجهد وتحرمه .

ثم يقرر المؤلف في نهاية هذا البحث أنه لو افترضنا أن الإنسانية سوف تبقى أبدا ، وأنها سوف تغير ظروف حياتها إلى ما لا نهاية فأننا نؤمل أن تجد في القرآن — أتي توجهت — قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا ، ووسيلة لدفع جهدها ورحمة للضعفاء ، ومثلا أعلى للأقوياء . إذا كانت الفصول الخمسة التي سبقت قد عالجت الجانب النظري في الموضوع ، فإن المؤلف بالنسبة للجانب العملي اكتفى بتقديم نماذج قرآنية في فصول خمسة أخرى سريعة عرض فيها : الأخلاق الفردية والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية وأخلاق الدولة ، والأخلاق الدينية ، ثم بعد ذلك أجمال أمهات الفضائل الإسلامية التي يميز بها القرآن المسلم الحق ..

وبعد :

فقد حرصت على قراءة الكتاب أولا ، قبل قراءة : مقدمتي المراجع والمعرب ، ثم ساءلت نفسي : هل توجد

الفتاوى

الحراس وصلاة الجمعة

السؤال :

أنا حارس من حراس الأسواق ، وفى يوم الجمعة لا أتمكن من صلاة الجمعة لأن طبيعة عملى تقتضى المرور بصفة مستمرة على المحلات ، فهل يعد هذا عذرا شرعيا يسقط عنى صلاة الجمعة ؟

الإجابة :

إذا تعارضت حراسة المتاجر مع صلاة الجمعة سقط وجوبها عنك ، وعليك أن تصلى الظهر بدلا منها .

الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأخت شقيقه وعمين وابن عم ، وليس له أولاد فما نصيب كل منهم ؟

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا وللأخت النصف فرضا ، والباقي لمعبيه ان كانوا شقيقين أو لأب أما إذا كان أحدهما شقيقا والآخر لأب فللشقيق الباقي ولا شيء للأخ لأب ، ولا لابن العم لحجبهما بالأخ الشقيق .

السؤال :

توفى رجل وترك بنتا وبنتا أخت وبنت أخ فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

الإجابة :

البنت تأخذ النصف فرضا ، وتأخذ النصف الباقي ردا ، ولا شيء لبنيات الأخ ولا لبنيات الأخت لأنهن من ذوى الأرحام .

خروج الخطيب مع خطيبته

السؤال :

ما حكم الشرع فى خروج الخطيب مع خطيبته للتنزه وما حكم الدين فى ديلة الخطوبة ؟

الإجابة :

خروج الخطيب مع خطيبته من غير أن يكون معها محرم حرام شرعا ، لما يترتب عليه من الخلوة التى نهى عنها الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء » ، أما ديلة الخطوبة فإذا كانت من الذهب حرمت على الرجل دون المرأة ، وإذا لم تكن من الذهب حل للرجل لبسها .

الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

السؤال :

ماهى الأدعية والأذكار التى يستحب للمصلى أن يدعو بها بعد التشهد الأخير وقبل السلام . وماهى الأذكار التى يستحب له أن يقولها بعد السلام ؟

الإجابة :

يستحب للمصلى أن يدعو بعد التشهد الأخير وقبل السلام بما شاء من خبرى الدنيا والآخرة فمن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الأخير ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء ، والدعاء بأى لفظ مستحب مطلقا إلا أن الدعاء بالوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ، ومن الأدعية الواردة ما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الرجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المائىم والمغرم » .

وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

ومن الأذكار والأدعية الواردة بعد السلام ما رواه ثوبان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام » .

ومنها ما رواه عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى دبر كل صلاة يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

مريم الوعيت الانسلاخ

اعداد : عبد الحميد رياض

إن الدين عند الله الإسلام

يقول الله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » فما المراد من هذه الآية وما موقف الإسلام من الأديان السابقة ؟ .

حاتم أبو داود - الأردن

المفهوم من الآية الكريمة « إن الدين عند الله الإسلام » أن جميع أهل الأديان السابقة على الإسلام مدعوون إلى الإسلام ، فهو دين الله الحق وكل من حاد عن هذا الطريق مبتغياً عقيدة أخرى أو منهجاً آخر أو متصوراً الهداية في غيره أو يتخذ خطأ يعتقده أن الاهتداء فيه ، لا شك أنه قد جانب الهداية وترك العجادة وسار بخطى واسعة إلى الضلال والجاهلية ووضع نفسه في حيرة لا تنتهي إلى صواب .. فالدين الذي ارتضاه الله لعباده وفيه جماع الخير وبه خلاص النفوس من الزيغ والهوى والاتواء ، وبه ينال الإنسان خيري الدنيا والآخرة هو الإسلام وذلك لأمر الله الذي لا يتخلف ولا يتبدل ، ولقراره الفاصل في هذه القضية الإيمانية وحتى لا يكون هناك مجال لتخمين قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ومن يبتغ غير الإسلام وهو الاستسلام والطاعة لأمر الله والاتباع لنبيه فليس بمسلم يعني كان ، فعبادته مردودة عليه مضروب بها وجهه .

ولذلك يوحى الله إلى رسوله : « فإن حاجوك فقل أنت أسلمت وجهي لله ومن أتبعن وقل للذين أتوا الكتاب والأمة أن أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

والإسلام ما جاء أبداً ليقول إن الأديان السابقة كاذبة أو كانت من خيال السابقين وأنها غير مؤيدة من السماء أبداً ما جاء الإسلام ليقول ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله الإسلام للناس ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يعلم أن الله أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى وهو الله الذي أنزل القرآن ، وكل هذه الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء تستهدف غاية واحدة هي هداية البشر وتنشد هدفاً واحداً هو إثبات وحدانية الله وتخليص النفوس من شوائب الشرك بالله ، وجاء الإسلام على هذا النهج ، ولكن الأولين من أهل الكتاب حادوا فقاتل اليهود عزيز ابن الله ، وقاتل النصراني المسيح ابن الله ، وكذلك اتخاذهم الأحيار والرهبان أرباباً من دون الله « اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

ومن هنا يتضح موقف الإسلام من اليهودية المؤلفة للعزيز ، والمسيحية المؤلفة لعيسى ابن مريم ، فالإسلام دين التوحيد الخالص ، ولا مكان لعبودية

فيه إلا لله ، وهذه شريعة موسى وعيسى أيضا ، ولكن القوم من بعدهما بدلوا
وغيروا وأحلوا وحرموا وعبدوا من دون الله ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ،
وفعلوا ما لم يأمر به الله ، فضلوا وأضلوا وغرهم في دينهم ما كاتسوا يفترون
مما هم بأهل كتاب وليسوا بمؤمنين وهم على غير دين ، ولو كانوا أهل كتاب
أو دين كما يدعون للربوا دعوة الحق عندما يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم
فيقولون معرضين في غرور واستعلاء « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله » « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »
هذا هو موقف الإسلام من كل الأديان السابقة عليه وموقفه من كل من يتخذ
لنفسه منهجا يخالفه وهديا غير هديه .

الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة

أرجو أن توضحوا لي حكمة الطواف حول الكعبة المشرفة والوقوف بعرفة ؟

عبد الله الخطيب — سوريا

لما كانت منزلة البيت الحرام من الاجلال والتعظيم لا تفوقها منزلة ، ولما
كان البيت الحرام قد أقيم في أشرف بقعة من الأرض ، وكان أول بيت وضع
لتجديد الخالق سبحانه وتوحيده « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وهدي للعالمين » فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا » .
شرع الله له التحية المشعرة باجلاله واحترامه ، وهذه التحية هي
الطواف حوله .. هذا بالإضافة الى عمل الرسول الثابت وطوافه حول الكعبة
وامره المسلمين بذلك .

ومعلوم أن البيت حجر لا يضر ولا ينفع غاية الأمر أننا نعظمه تعظيما لأمر
الله عز وجل ، وكل ما يذكر عند الطواف إنما هو تعظيم لله وإقرار له بالوحدانية
وتسليم له بالربوبية وتنزيهه عن الشرك والشركاء .
وكذلك الوقوف بعرفة إنما هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو كذلك سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشعارا بفضله يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت وقلت الأنبياء قبلي عشية يوم عرفة لا
إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير » .

ومهما قيل حول مشروعية هذه المناسك وحول استنباط الأسباب والدوافع
والحث على أدائها ، فالقول الفصل في هذا أنها أمور تعبدية ، تعبدنا الشارع
الحكيم بها نؤديها طاعة لله وامثالاً لأمره وتعظيما لشعائره .

بأقلام القراء

التصوف

يقول ابن خلدون : انه من العلوم الشرعية واصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا اتباعا لسلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ويقول التشيوي (التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لانه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق باخلاق الله ولن تستطيع ان تقبل على الاخلاق الإلهية بعلم ولا برسم) .

وقال بعض المعاصرين ان التصوف هو علم الاخلاق وعلم النفس والقول بان التصوف هو الخلق انما يجعل منه علما للأخلاق ولكنه مع هذا أشد ما يكون حاجة الى علم النفس التي تصدر عنه هذه الاخلاق ولقد ظن البعض ان من اهداف الصوفية الاعتماد عن الدنيا وطبائتها كما ظنوا ايضا ان الصوفية انصراف عن الدنيا ونسيان ان الدنيا مزرعة للأخرة .

ولكن صفوة الصوفية قالوا بان التعب في طلب العيش يكفر ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وردوا ذلك الى اعمال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف انه كان قدوة طيبة للإنسان العامل فقد كان يشتغل بالتجارة ولم يصرفه ذلك عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة دون ان يعتكف في مكان ضيق من الأرض .

ولقد رسم الصوفية الطريق الأولى للوصول الى الله سبحانه وتعالى ولا بد للمريد من أن يجتاز أعتابها والعتبة الأولى التوبة وهي الشعور بالخطيئة والعزم الاكيد على الإقلاع عنها وبالتوبة تتفتح البصيرة وينشرح الصدر والعتبة الثانية اخذ العهد وهو رباط وثيق بين المتعاقدين على طاعة الله وتركية النفس مما علق عليها من الطمع والغرور ووسوسة الشيطان .

والعتبة الثالثة الورع وهو مقام الانصراف عن اللذات الشهوانية والتزام الطيب من القول والحلال من الرزق والقناعة .

والعتبة الرابعة الخوف : والخوف ينبعث من الورع والبعد عن مانهى الله عنه وامتنال أوامر الله تبارك وتعالى ، والخوف يسوق صاحبه الى المواظبة على العلم والعمل وهو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات .

والعتبة الخامسة : الخلوة وهي بمثابة المحراب لمريد الصلاة وقد تطهر من الاناس واقبل على ربه تائباً يرجو رحمته ويخشى عذابه .

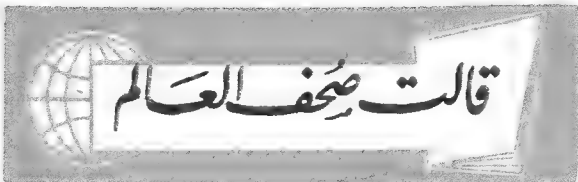
والعبية السائسة : الزهد وهو انصراف الهممة الى الله وتخلي القلب عن الدنيا واحتقار ما فيها من طعام ، وليس الزهد ان يترك الدنيا وهي في قلبه بل الزهد ان يتركها من قلبه وهي في يده ، وليس الزهد الانقطاع فسي الصوامع والمساجد فאלله سبحانه وتعالى ينجي في الحقل وينجي في المصنع والمتجر وفي كل مكان .

وهناك عتبات أخرى كالصبر والرضا والمراقبة والتوكل وذكر الله .
بهذه العتبات تصل نفس المؤمن بما غرس فيها من تلك الفضائل الى مراحل العبودية ثم مرحلة الحب الإلهي ويزداد الحب كلما ازداد الإيمان وعلى مقدار الحب تكون السعادة ويكون النعيم .

والتصوف الحق هو طريق الاسلام لأنه طريق الأولياء والصالحين الذين قال الله عنهم (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومن أخلاق المتصوفة : التواضع وعدم التكبر وقال الجنيد في ذلك التواضع و (خفض الجناح ولين الجانب) كما أن من أخلاقهم الحب والإيثار والتجدة وقد شرح شهاب صوفى لأبى يزيد البسطامي حد الإيثار عند الصوفية بقوله (اذا فقمنا شكرنا واذا وجدنا آثرا) وقال ابوحفص الصوفى (الإيثار هو أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة كما أن من أخلاقهم أيضا تلبية النداء ومعاونة الأخ الأخيه لا لفرض وإنما لوجه الله) .

فالصوفية هي طريق الله الى الحب الى خلق مجتمع إنسانى متعاطف متعاون مجتمع تسوده المحبة والتعاطف مجتمع يؤمن بالتكافل الاجتماعي ويؤمن بالأخلاق ، الأخلاق التي هي عماد المجتمع ، الأخلاق التي هي طريق الوصول الى مجتمع إنسانى نظيف ، ان الأخلاق الصوفية دعوة الى مجتمع شمهارة الحب والتواضع والإيثار والمساواة والمجتمع الذى يتصف أبناؤه بهذه الصفات إنما يكون مجتمعا طيبا يؤتى أطيب الثمرات ويعود على ابنائه بالخير .

فالتصوف وسيلة الى البناء والتعمير وسيلة الى تحقيق مجتمع مثالى والتصوف مدرسة لتربية العادات الطيبة وثورة على العادات البالية والصفات الكريهة التي تضعف من الإيمان وتنتشر الفرقة والانقسام ان التصوف ثورة على الفساد ودعوة الى الحق والعدالة ومتى تمسك المسلمون بأخلاق السلف الصالح ومتى آمنوا وصدقوا وراقبوا الله نجحوا في حياتهم وآخرتهم وانتصروا على أعدائهم ، لقد انتصر المسلمون الأولون وعددهم قليل على الجماعات الكافرة التي جاءت من كل مكان ، ولكن الإيمان ينتصر ، وكتب الله أن النصر لمن أطاعه وأن الهزيمة أن بعد عن الصراط السوى وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه وهذان طريق الخير طريق الحب .



الإحياء الديني :

للإحياء الديني أثره الهام في تقوية النفوس الضعيفة ، ورفع الروح المعنوية في الشعوب والأفراد ، لأن المتدين المؤمن الذي يركن في جميع أموره إلى قوة كبرى مسيطرة على الكون تجري كل شيء وفق قاتون عادل رحيم ، وقد يخفى علينا في بعض الأحوال البعيدة ، ولكن عدله لا يخطئ ورحمته لا تنقطع ، هذا المؤمن المتدين يجد ستواه المظمنة في اللجوء إلى الله وأفعما أكف الصراعة اذا حزيه الخطب فتتسع أمامه منادح الأمل ويثق في غده المقبل ، وثوق من يعتقد أنه يأوى إلى ركن شديد .

تصور شخصين داهمهما المرض المفاجيء ، ففاما على سريرين في حجرة واحدة ، بمستشفى عام وأحدهما يؤمن بإسلامه ويثق في ربه ، ويراه عون في الشدائد وعدته في القاتبات ، وثانيهما أضله الله على علم فاتحرف إلى الإلحاد وكفر بوجود خالق يرعاه ويكلؤه ، تصور هذين المريضين وقد نزل بهما المرض نزولا خطيرا لاحت نذره ، وأبرقت نواهيها ، وتصور ما يجول في خاطريهما معا ، فانك ستعرف أن المريض المؤمن له أمل في السماء يشرق عليه بالأمن فهو يعتقد أن العلة مهما أغضلت ، وأن الداء مهما تفاقم فإن قدرة الله عز وجل كفيلة بأن تحطم كل عائق ، وكما أحيا الله الميت دون أن يعجزه شيء في السموات والأرض فهو قدير على أن يبدد العلة تبديدا وإن بسطع فجر العافية بعد ظلمات المرض وأذ ذاك تشرق الانتسامة على وجهه ، ويفيء الرضا إلى نفسه ، فإذا عاد عائد يشاركه شعوره الديني وجده يحدثه بما يجول في خاطره ، فإذا التفت إلى أقاربه المحتمين حول سريريه ، وجدهم جميعا يؤكفون له ما يعلمه من رعاية الله وقدرته فهو لطيف بعباده ، يرعى برحمته الدودة في الصخرة والتملة في الحجر ، أذ وسعت رحمته كل شيء ، فكيف لا يسعف مؤمنا يلتجئ إليه ضارعا في مأساته وهو نعم المولى ونعم النصير ، هذا الجو المؤمن المتعطر بأريج الأمل يمد المريض بقوة ترتفع به فوق الألم حتى إذا تم الشفاء رجع إلى أهله مغتبطا بآيائه ، فإذا كانت الآخرة وتحقق وثوك نهايته أزداد طعمه في جنة ربه ، وعرف أنه غفار وهاب يقول في محكم كتابه : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم) .

أما المريض الآخر فتشتد به العلة وتحبط به الكارثة ، ثم لا يدري إلى من يلتجئ ويحججه ، فيتجههم له الناس ، وتخفض قواه المعنوية اتخافاضا يساعد على

تفانم العلة ويزيد من برح الداء ، فاذا زاره عائد لا يستطيع ان يفتح معه ابواب
الامل في حديث ، وكيف يهم بذلك ؟ والحاد المريض قد سد امام زائرته المنافذ ، ثم
ران على نفسه بما يزيد من الهول فلا تجد الا تبرما بالداء وباسا من النجاسة ،
وصراخا حاقدا مضرما لا يملس برد العزاء ، فاذا تحقق المريض منهم نهايته ، سدت
منافذ الامل في وجهه ، واعتقد ان القبر حفرته النهائية فلا حياة قادمة مستأنفة ،
ولا جنة ترجى بسعادة ورضوان ، ان هو الاصره فتفتت ذرات متضائلة ، ثم
هوت بها الريح الى حيث لا التام .

مسئولية مصر :
عن مجلة التضامن الاسلامية

ان مسئوليتك يا مصر اوسع واعظم من تادية رسالة الادب وخدمة لفة
العرب ، وما تجودين على الاقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الاوربية
وفئات المدنية الغربية ، انك بين آسيا واوريا فانت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين
انك وسط بين مهد الاسلام ومشرق نوره ، وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث
العلوم العصرية ، فعليك مسؤولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين .

فاما مسؤولية آسيا والاقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكوني
قنطرة تعبر عليها الى البلاد العربية تجارب اوريا وعلومها ونشاطها وكدها في
الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة ،
التي تربطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية .

واما مسؤولية اوريا فلا تخرجين منها حتى تبغلي رسالة الجزيرة العربية —
وهي الاسلام الذي احتضنته من زمان — الى اوريا وحل المشاكل التي اعيت
كبار المفكرين واتميت عطاء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه
القارة الاوربية التي استوردت منها شيئا كثيرا من العلم والمصنوعات والمنتجات
ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديدا ، وتحسنين اليها اكثر مما احسنت
اليك وتصدرين اليها افضل مما صدرت اليك .

عن صحيفة الرائد الهندية

ديننا :

ان الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب انه اضحى
سياج ديننا وكيف بقاتنا .

ومن ثم فاني اتظر الى المستهينين بالدين في هذه الالام على انهم يرتكبون
جريمة الخيانة العظمى انهم دروا او لم يدروا يساعدون الصهيونية والاستعمار
على بلدنا وشرقنا ويومنا وغدنا !!

فارق خطير بين عرب الامس وعرب اليوم .
الاولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصلحوا شاتهم ، واستأنفوا
كفاحهم ، وطردها عنهم .

اما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافي احدث تخريبا شديدا في ضمائرهم
وافكارهم ، وربما رأت الاله احد منهم يبلغ الاربعين او الخمسين من عمره ولا
يعرف كيف يصلح الى حصيلته من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عند درجة
الصفر .

عن صحيفة القور المغربية

الخبير المسلم الاسلامي

اعداد الاستاذ : فهمي الامام

● منح الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية قرضا للصومال قيمته ٧ مليون دولار .

● شاركت الكويت في احتفالات عيد النصر بجمهورية مصر العربية عن طريق وفد مجلس الامة وبعض العسكريين .

● ألقى معالي الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة كلمة الكويت امام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٩/٣٠ الماضي وكرس سمادة الوزير الجزء الأكبر من كلمته للحديث عن قضية فلسطين وعن الاجرام الصهيوني .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعا برئاسة معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية ، ونظرت في عدد من طلبات المساعدة .

● قررت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية طباعة المحاضرات التي القاها البروفسور خورشيد احمد خلال شهر رمضان باللغة الانكليزية .

الكويت :

● يستقبل سمو أمير البلاد المعظم صبيحة يوم عيد الفطر المبارك وفود المهنيين بالعيد .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تستغرق عدة أيام تعقبها زيارة خاصة لمدة سبعة أيام .

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربي الذي سيعقد في الرباط يوم ٢٦ أكتوبر الحالي .

● صرح معالي وزير الدولة السيد عبد العزيز حسين بأن تشكيل كتلة غربية ضد البلدان المنتجة للبترول لن يكون ذا فائدة في حل أزمة الطاقة .

● أعلن رئيسس الأركان للقوات المسلحة أن القوات الكويتية ستكون على أهبة الاستعداد اذا ما نشبت معركة جديدة ، وحذر سيادته من اساليب الدعاية الاستعمارية .

● سيزور الكويت الشيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنغلاديش على رأس وفد رسمي ، وستتم الزيارة خلال الشهر القادم .

مصر :

رمضان .. وعمت الاحتفالات المدن السورية .. وصرح المسؤولون بأن المعركة لم تنته بعد .. وأنه لا بد من تحرير كل الأرض وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

فلسطين :

● وافقت ٦٧ دولة على دعسوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة .. ومن المنتظر أن يزداد عدد الدول الموافقة خلال الأيام القادمة .

المغرب :

● استدعت وزارة الخارجية المغربية سفراءها في البلاد العربية للاعداد لمؤتمر القمة العربي السابع ، المقرر عقده يوم ٢٦ أكتوبر في مدينة الرباط .

أبو ظبي :

● تولى إمارة « الفجيرة » الشيخ حامد بن محمد الشارقي خلفا لوالده الذي انتقل الى جوار ربه .
... ..

نيجيريا :

● بلغ عدد سكان نيجيريا حوالى ثمانين مليون نسمة حسب إحصاء عام ١٩٧٣ منهم ٧٥٪ مسلمون .

بريطانيا :

● تقوم المؤسسة الاسلامية في بريطانيا بتعليم الدين الاسلامي للطلبة المسلمين في ٦٣ مدرسة حكومية بريطانية .

● احتفلت جمهورية مصر العربية على المستوى الرسمي والشعبى بالذكرى الأولى لحرب رمضان ... وقد شارك في الاحتفال وفود رسمية من البلاد العربية .

● صدر قرار بإنشاء وكالة لشئون الثقافة الاسلامية تشرف على الادارة العامة للوعظ والارشاد ، وادارة الثقافة والنشر ، وادارة البحوث والعلاقات الخارجية .

● جرت في القاهرة مسابقة في حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية وجامعة الأزهر .. ووزعت الجوائز على الفائزين .

● تقرر تشغيل ثلاث بواخر مصرية لنقل ٢٤ ألف حاج مصري في موسم الحج القادم ان شاء الله .

السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بصرف خمسين تذكرة طيران لأداء فريضة الحج هذا العام لخمسين مواطنا من ماليزيا اعتنقوا الاسلام مؤخرا .

● حذر وزير النفط السعودي من أن الدول العربية سستقطع إمدادات البترول اذا نشبت حرب جديدة في الشرق الاوسط .

وقال : إن هناك احتمال اندلاع مثل هذه الحرب ما لم يتم التوصل الى اتفاق حول إعادة الأراضي المحتلة وإعادة توطين اللاجئين .

سوريا :

● احتفلت الجمهورية العربية السورية بالذكرى الأولى لحرب

مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ حَسَبَ التَّوْقِيتِ الْمَحَايِ لِدَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

الوقت باذن الروالي (افرنجي)		الوقت باذن الروالي (افرنجي)	
جڙ	شروق	ظہر	عصر
دس	دس	دس	دس
۱	۱۸	۳۳	۶
۱۸	۳۳	۱۷	۳۳
۱۸	۳۴	۱۸	۳۵
۱۸	۳۴	۱۹	۳۷
۱۸	۳۴	۱۹	۳۸
۱۸	۳۴	۲۰	۴۰
۱۸	۳۵	۲۱	۴۲
۱۸	۳۵	۲۲	۴۳
۱۸	۳۵	۲۳	۴۵
۱۸	۳۵	۲۴	۴۷
۱۸	۳۶	۲۵	۴۹
۱۹	۳۶	۲۵	۵۰
۱۹	۳۶	۲۶	۵۱
۱۹	۳۶	۲۷	۵۳
۱۹	۳۷	۲۷	۵۴
۱۹	۳۷	۲۸	۵۶
۱۹	۳۷	۲۹	۵۸
۱۹	۳۸	۳۰	۶۰
۱۹	۳۸	۳۱	۶۱
۱۹	۳۸	۳۲	۶۲
۲۰	۳۸	۳۳	۶۳
۲۰	۳۸	۳۳	۶۴
۲۰	۳۸	۳۴	۶۵
۲۰	۳۸	۳۵	۶۶
۲۰	۳۹	۳۵	۶۷
۲۰	۳۹	۳۶	۶۸
۲۰	۳۹	۳۷	۶۹
۲۰	۳۹	۳۸	۷۰
۲۱	۳۹	۳۸	۷۱
۲۱	۳۹	۳۹	۷۲

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

اسمها : زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية وهي أخت ميمونة بنت الحارث لامها .

زواجها : كانت زوجة لعبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم .
وقيل كانت زوجة للطفيل بن الحارث ومن بعده تزوجت أخاه عبيدة بن الحارث فقتل عنها ببدر ، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر رضى الله عنها وكان ذلك في رمضان سنة ثلاث .

فضلها : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

وفاتها : بقيت في بيت النبوة شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية أشهر وماتت في ربيع الثاني سنة أربع وكانت الزوجة الثانية بعد السيدة خديجة التي ماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .
انتقلت إلى جوار ربها وكان عمرها ثلاثين سنة مرضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لفسياح المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات مننا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع محمد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

مصر :	القاهرة : شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة .
السودان :	الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيا :	طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) . بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .
المغرب :	الدار البيضاء — السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونس :	مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عُدن :	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .
الأردن :	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية :	جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
	الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
	الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
	الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
	مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المصري :	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
	بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
	البحرين :
	المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
	قطر :
ابو ظبى :	الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .
	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
	دبى :
	مطبعة دبى .
	الكويت :
الكويت :	مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	دور الاسلام في العصر الحديث	للدكتور حسن هويدى
١٢	ابراهيم واسماعيل عليهما السلام	للاستاذ محمد عزة دروزة
٢٠	مفاهيم سلمية	د : محمد على الزغبى
٢٨	الحضارة الفربية	د : عماد الدين خليل
٣٥	الاسلام والشرائع السابقة	للاستاذ محمد محمد الشرقاوى
٤٠	الاجتهاد	للاستاذ محمد رجاء حنفى عبد المجلى
٤٨	الحكم الشرعى	د : محمد بسلام مذكور
٥٤	الحج والعمرة	للاستاذ احمد عبد المحسن المشاوى
٦٠	نظرات في الحديث	د : محمد عبد الرؤوف
٦٧	وشاورهم فى الامر	د : احمد الحوقى
٧٢	مائدة القارىء	
٧٤	الاعلام العربى	للاستاذ احمد العنانى
٨٠	بين القوة والضعف	د : احمد الشرياصى
٨٦	حق الله على عباده	للاستاذ عبد الرحمن عبد اللطيف
	دستور الاخلاق فى القرآن	
	(كتاب الشهر)	
٩١	وليمة اصفهائية (قصة)	عرض محمد عبد الله المسمان
٩٦	الفتاوى	الذراء محمود شيت خطاب
١٠٣	بريد الوعى	للتحرير
١٠٥	باقلام القراء	اعداد : عبد الحميد رياض
١٠٧	قالت الصحف	للتحرير
١٠٩	الاخبار	للتحرير
١١١	مواقيت الصلاة	اعداد : الاستاذ نهى الامام
١١٢	ام المؤمنين السيدة زينب رضى الله عنها	
١١٤		